الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
كلية الأدب العربي و الفنون
قسم اللغة العربية

صورة الأجنبي في رحلة محمد أسد الطريق إلى مكة

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الأدب و اللغة العربية تخصص : أدب مقارن وعالمي

إعداد الطالبة:

ـ قراش العالية

إشراف الأستاذة :

د. بن يمينة زهرة

لجنة المناقشة :

الأعضاء	الجامعة	الصفة
د. شهرزاد غول	جامعة مستغانم	رئيسا
د. زهرة بن يمينة	جامعة مستغانم	مشرفا ومقررا
أ . د . فاطمة جريو	جامعة مستغانم	مناقشا

السنة الجامعية : 2024-2023

إهداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا

محمد و على آله وصحبه أجمعين

أهدى هذا العمل إلى من ربتني وأثارت دربي وأعانتني بالصلوات

والدعوات، إلى أغلى إنسانة في هذا الكون أمي رحمها الله.

إلى من عمل يكد في سبيلي وعلمني معنى الكفاح و أوصلني إلى

ما أنا عليه أبي الكريم أدامه الله لي.

إلى إخوتي وأخواتي من لا تحلو الدنيا إلا بوجودهم.

إلى أستاذتي و مشرفة بحتي د. بن يمينة زهرة صاحبة الفضل في

توجيهي و مساعدتي

شكر وتقدير

أشكر الله العلي القدير الذي أنعم علينا بنعمة العقل والدين.

القائل في محكم التنزيل « **وفَوْقَ كُلّ ذِي عِلمٍ عَلِيمٌ** " صدق الله العظيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **من صنع إليكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه** " وأيضا وفاء وتقديرا واعترافا منا بالجميل نتقدم بجزيل الشكر لأولئك المخلصين الذين قدموا لنا يد المساعدة في مجال البحث العلمي، وأخص بالذكر

الأستاذة الفاضلة : بن يمينة زهرة، فجزاها الله كل خير.

وأخيرا،أتقدم بجزيل الشكر الى كل من مدلى يد العون وساعدني في إتمام هذه الدراسة.

قراش العالية

الفهرس

- الإهداء

- شكر وتقدير

مقدمة ..... ب

المدخل:الصورائية وأدب الرحلة في المفاهيم

المبحث الأوّل: الرّحلة. ..... - 4 -

1.مفهوم الرحلة:... ..... - 4 -

2. أغراض الرحلة: ..... - 6 -

3.أهمية الرحلة:..... ..... - 9 -

المبحث الثاني: ماهية أدب الرحلة..... - 10 -

المبحث الثالث: الصورة. ..... - 13 -

1.مفهوم الصورة:..... ..... - 13 -

2.نشأة الصورائية:..... ..... - 15 -

3. الصورولوجيا في الأدب المقارن:..... - 16 -

4. نمطية الصورولوجيا:... ..... - 18 -

الفصل الأوّل:

صورة الأجنبي العربي والمسلم في رحلة محمد أسد الطريق إلى مكة

المبحث الأول: وصف الكتاب ودوافع الرحلة..... - 21 -

المبحث الثاني: صورة العرب ..... - 24 -

1. الخصائص العرقية والصفات الجسمية..... ..... - 24 -

2. السمات النفسية عند العرب..... - 27 -

3. أخلاق العرب: ..... - 30 -

4.الحياة الاجتماعية والاقتصادية عند العرب:.....- 34 -

5.العقلية القبلية عند العرب: ..... - 41 -
6. العادات والتقاليد عند العرب ..... - 42 -
7. الجانب الفكري والثقافي عند العرب ..... - 47 -
المبحث الثالث : صورة المسلمين ..... - 56 -
1.الحياة الاجتماعية عند المسلمين: ..... - 56 -
2. العادات والتقاليد عند المسلمين:..... - 59 -
3. الجانب الروحي عند المسلمين:..... - 61 -

الفصل الثاني: صورة الأجنبي الغربي في رحلة محمد أسد الطريق إلى مكة

1. صورة الغرب..... ..... - 63 -
2. أوربا بعد الحرب العالمية الأولى :..... - 67 -
3.الحياة الاجتماعية عند الغرب ..... - 71 -
4. الجانب الفكري و الثقافي عند الغرب ..... - 72 -
5. نظرة الغرب للمجتمع العربي :..... - 75 -
6. تأثير الغرب في المجتمع العربي: ..... - 79 -
خاتمة..... - 81 -
فهرس المصادر و المراجع..... - 83 -
ملاحق..... - 85 -
ملخص الدراسة: ..... - 91 -

مقدمة

مقدمة

تعتبر الرحلة سجلا حقيقيا لمختلف مظاهر الحياة الجغرافية و التاريخية والاجتماعية و الاقتصادية ، فهي تعرض لنا جل مضامينها بأسلوب أدبي يرقى إلى مستوى الخيال الفني ليمثل أمامنا أدب الرحلات في تنوع أساليبه، فالرحالة يتحمل المشاق و المصاعب، لأنه في أغلب الأحيان يعبر الصحاري و يخترق المسالك و المماليك لكن العبرة في كل هذا هي قدرة الأديب على اختيار المشهد وتدوينه .

عندما سنحت لي الفرصة لإتمام دراستي لنيل شهادة الماستر في مشروع "دراسة مقارنة" اخترت أدب الرحلات لأنه مجال واسع من مجالات الأدب المقارن. فوقع اختياري على موضوع شيق للغاية و هو"صورة الأجنبي في رحلة محمد أسد الطريق إلى مكة" واحد من أبرز أعلام أدب الرحلات الذين زاروا العالم العربي و الإسلامي و ساهم في تصحيح الصورة المغلوطة و الأفكار الخاطئة التي تشبع بها العالم الغربي ،حيث قمت بتسليط الضوء على العديد من القضايا المتعلقة بنظرة الغرب إلينا، و ما آلت إليه صورتنا في المخيال الغربي، و قد حاولت من خلال هذا البحث الإجابة عن الإشكاليات التالية :

ـــ ما هي أبرز الملامح التي رسمها صاحب الرحلة للعرب و الغرب ؟

ـــ و كيف كانت نظرته للإسلام و المسلمين ؟ و ما موقفه منهما ؟

ـــ و كيف ساهم في توضيح الصورة المشوشة للإسلام عند الغرب ؟

إن الدراسة التي اعتمدت الوصف و التحليل منهجا أكدت ارتسام صورة الأجنبي في رحلة محمد أسد و هي صورة معبرة لغايات و دوافع الرحالة التي قادته في النهاية إلى الدين الإسلامي و تحسين صورته لدى الغرب .

وعلى الرغم من أهمية الموضوع إلا أنني لمست شح المادة التي تناولت بالدراسة هذا الكتاب. فمعظم الدراسات اهتمت بالجانب الفكري و الديني خاصة ما تعلق بتحوله من اليهودية إلى الإسلام.

عمدت إلى تقسيم البحث إلى فصلين مسبوقين بمدخل تناولت فيه مفهوم أدب الرحلات و أهدافه، و مفهوم الصورة، وعلاقتها بالأدب المقارن و ختمت البحث بخاتمة.

تناولت في الفصل الأول صورة الأجنبي العربي و المسلم في رحلة محمد أسد فتطرقت فيه إلى السمات العرقية و النفسية، و الجانب الفكري و الثقافي، والعادات و التقاليد السائدة عند العرب والمسلمين. أما الفصل الثاني فعنونته بصورة الأجنبي الغربي في رحلة محمد أسد تطرقت فيه إلى بعض السمات العرقية و النفسية ،و التعصب اليهودي للقضية الفلسطينية، و العداء الدائم للإسلام، ونظرة الرأي العام الغربي لقضايا الشرق الأوسط.

وختمت البحث بأهم النتائج المستخلصة من الدراسة .

وختاما أتقدم بكامل الشكر و التقدير للأستاذة بن يمينة زهرة على متابعتها لي وحرصها على توجيهي وتأطيرها لعملية البحث، راجية من الله أن يكون هذا البحث مقبولا و مفيدا لقارئيه.

مدخل:

الصورائية وأدب الرحلة بحث في المفاهيم

يعشق الإنسان الرحلة و التنقل من مكان إلى آخر بغرض الاكتشاف وحب الاستطلاع وخاصة الرحالة الغربيين الذين قادهم الفضول إلى الوطن العربي

المبحث الأوّل: الرّحلة.

عرف الإنسان الرحلة والترحال منذ القدم فهو ميال ومحب للترحال والتنقل وكان الهدف من هذه الرحلات البحث عن المكان الآمن أومصادر الرزق أو محاولة اكتشاف ما حوله من الحضارات.

1. مفهوم الرحلة:

أ. **لغة:**"جاءت الرحلة في لسان العرب بمعنى الانتقال: التَرَحُل وَالإِرْتِحَال وَالرِحْلَة: اِسْم لِلإِرْتِحَال وَالسَيْر، يُقَال دَنَت رِحْلَتُنَا، وَرَحَلَ فُلَان وَاِرْتَحَلَ، وَالرِّحْلَة بِالْضَم القُوَة وَالجَوْدَة.، وَهُوَ الوَجْه الذِي تَأْخُذُهُ فِيهِ وَتُرِيدُه، فَالرِّحْلَة هُنَا جَاءَت بِمَعْنَى السَفَر وَالقُوَة وَالوِجْهَة"[1].

وردت كلمة الرحلة في معجم مقاييس اللغة في مادة (ر،ح،ل)" الرّاء والحَاء واللاّم أَصْلٌ وَاِحد يَدُلُ عَلَى مَضي فِي سَفَرٍ"[2].وفي المعجم الوسيط جاءت كلمة "رَحَلَ عَنْ المَكَان، رَحْلاً وَرَحِيلاً وَتِرْحَالاً، وَالرِحْلَة سَارَومَضَى "[3].فالرحلة على العموم جاءت بمعنى السير والانتقال والوجهة التي يريد الذهاب إليها والاقتراب من المكان.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، المجلد السادس، باب الراء، مادة رحل، ص 124.

[2] العيفة خطوي، أدب الرحلة في التراث الجزائري، مجلة بدايات، العدد الأول، جامعة عمار ثليجي، الجزائر، ص121.

[3] المعجم الوسيط،مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية،ط4،باب الراء ،2005،ص333ــ 334

ب.اصطلاحاً:" إن الرحلة قديمة قدم الإنسان ذاته إذ عرفها منذ العصور الغابرة حتى وقتنا هذا، وإن اختلفت دوافع الرحيل، وتباينت وسائل السفر، وتنوعت مادة الرحلة، والرحلة وسيلة هامة لاكتشاف العالم والإنسان وتوسيع خبرات الرحالة ومعارفه... الرحلة فعل طبيعي عند الإنسان عرفه منذ أن عرف الحياة على هذا الكوكب ومع تقدم الحياة والأزمنة تيسرت الرحلة شيئا فشيئا، وخصوصا عند العرب بعدما انتشرت رقعة الإسلام"[1]. الرحلة بالنسبة للإنسان أمرا طبيعيا كما أن انتشار الفتوحات الإسلامية ساعدت على انتشار الرحلة.

لقد عرّف محمد حسين فهيم الرحلة بأنها: «نوعا من الحركة وهي أيضا مخالطة للناس والأقوام، وهنا تبرز قيمة الرحلات كمصر لوصف الثقافات الإنسانية، ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة.[2]، ومن خلال الرحلة نرى العالم والعديد من مظاهر الحضارة الإنسانية، ونسافر مع الرحالة، فالإنسان رحال بطبيعته تواق إلى المعرفة وإرتياد المجهول وحب الاكتشاف، " فالرحلة هدف يتمناه العقل وتسعى إليه الروح ولكن ليس من رأى وأخذت الأسفار من عمره كمن قرأ أو سمع فقط.والرحلة بعد كل هذا فيها من المعلومات ما ينفع كل باحث وهي منابع غنية بمختلف مظاهر حياة المجتمعات البشرية بما فيها من صور وأخبار ومغامرات، ومعارف وعلوم إنها خزائن تحفل بالمادة الثرية لا في مجال الجغرافيا أو

[1] حسين محمد فهيمي، أدب الرحلة، عالم المعرفة، الكويت، 1978م، ص15.
[2] المرجع نفسه، ص15.

التاريخ وحسب بل تلم بالحضارة، وتمثل تجربة تعكس صورة الإنسان عبر العصور»[1].

فالرحالة قدموا مساهمات واضحة في التراث العلمي والثقافي والإسلامي، أما عبد النور جبور في معجم الأدبي فيرى أنها احتلت منزلة رفيعة في الأدب المقارن. حيث قال: «نزلت الرحلة في الأدب العربي منزلة رفيعة، وأصبحت فنا من الفنون الشائعة في معظم بلدان العالم، وقد ساعد ازدهارها في اختلاط الشعوب، وسهولة المواصلات، وحب الاطلاع، ومعرفة ما في العالم من عادات وأخلاق.

إن الإثارة في الرحلة متأتية من الوصف الطريف للواقع، والسرد الفني للمغامرة الإنسانية والعواطف المحركة للبشر وأيضا من أنواع الشخصيات التي تبرزها بحيث تبدو للقارئ متوافقة في كثير من نزعاتها ومتفاوتة في جوانب أخرى ليحتفظ كل منها بميزاته الفردية، كمثال رحلة ابن بطوطة فتظل رحلته مصدرا كبيرا من مصادر علمي التاريخ والجغرافيا في القرون الوسطى، لاسيما من الناحيتين السياسية والاجتماعية»[2].

2. أغراض الرحلة:

إن الدوافع التي جعلت الإنسان يتحمس للرحلات تختلف من شخص إلى آخر إلا أنها في الغالب تنحصر فيما يلي:

[1] نوال عبد الرحمان شوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، دار المامون للنشر والتوزيع، ط1، 2008م، ص46.
[2] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العام للملايين، بيروت، ط1، 1978م، ص121-122.

1.2. دوافع دينية:

يمثل هذا العامل السبب الرئيسي والأول لأغلبية المتوجهين إلى المشرق الإسلامي، أو العامل الذي يقتضي بشدة الرّحال من كل حدب وصوب إلى الحجاز والأماكن المقدسة»[1]، ويعد هذا العامل من أقوى البواعث على الرحلة.

«فالحج من أهم الوشائج التي ربطت بين المشرق والمغرب، وعملت على توحيد الثقافة في سائر أنحاء البلاد الإسلامية على الرغم من المسافات الشاسعة»[2]. نستنتج أنّ هذه الرحلات قربت المسافات وساهمت في التعرّف على ثقافات وعادات الآخر. "فقد كان أساس خروج اِبن جبير في رحلته إلى المشرق، أداء فريضة الحج، فحج وسمع من بعض علماء الشام ثم عاد إلى المغرب وكان له أكثر من رحلة إلى الشرق".[3]، "كما أنّ التوجه إلى الأماكن المقدسة تلبية لنداء الرحمان وتوبة وتطهير للنفس من دنس الذنوب، وعهدا للسير على الصراط المستقيم وأملا في المغفرة ومن قبيل ذلك التبشير بالدين"[4]،"فالرحلات ساهمت في التبشير بالدين ومعالم القرآن الكريم.ومعظم من دخل شبه الجزيرة العربيّة دخل لأغراض دينية تتمثل في التبشير وتنصير المسلمين مثل **لودفيكو دي فارثيما«LodvicoLhema»** الذي تظاهر بالإسلام لخدمة البرتغاليين، ودخل مكة المكرمة والمدينة وألف كتاب ضم فيه كل مشاهداته وأورد فيه تحامله على الإسلام والمسلمين وتعصبه لملته"[5].أي هناك من تقرب من الإسلام والمسلمين بغرض تشويهه، ومن بينهم " البرتغالي

---

[1] نوال عبد الرحمان شوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، ص26.
[2] المرجع نفسه ، ص27.
[3] المرجع نفسه، ص28.
[4] فؤاد قنديل، أدب الرحلات في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1-2، 2002م، ص19.
[5] ينظر: المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد السادس، العدد 11، سبتمبر 2022، ص87.

جريجوريوداجودرا (Di gregorioDajodra) الذي حاول دخول مكة المكرمة والمدينة المنورة لكنه سجن في عدن حتى عام 922ه/1516م ليعلن إسلامه ويطلق سراحه ليصحب حاكم عدن إلى الحج، وفي المدينة المنوّرة يعلن تعصبه المسيحي"[1]. فالرحلات التي قادها الرّحالة الغربيين كانت معظما لاكتشاف الدين الإسلامي من جهة وبغرض التحامل عليه من جهة أخرى.

2.2. دوافع علمية أو تعليمية:

كانت بغرض الاستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم، ذاع صيت أبناءها في مجالات العلوم كالفقه والطب والهندسة والعمارة وغيرها، وتذكر كتب الحديث والسير أن الفقهاء من العلماء من كان يقطع القفار ويعبر الأنهار طلبا لحديث نبوي سمع به أو لمجرد التحقق من كلمة فيه، وقد فعل ذلك عبد الله بن عباس والغزالي... فما أكثرهم ومن قبيل ذلك أيضا رحلات البحوث العلمية والكشوف الجغرافية [2].

3.2. دوافع سياسية:

كالوفود والسفارات التي يبحث بها الملوك والحكام وحكام الدول الأخرى لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات أو لمناقشة شؤون الحرب والسلام وتمهيدا لفتح أو غزو... [3].

4.2. دوافع اقتصادية:

كانت التجارة منذ قديم الزمان أمرا يقتضي القيام بالرحلة والسفر البعيد والسعي في سبيل الكسب براً وبحراً فالعالم العربي يحكم توسط موقعه بين

---

[1] المرجع السابق، ص87.
[2] فؤاد قنديل، أدب الرحلات في التراث العربي، ص19.
[3] المرجع نفسه، ص20.

قارات العالم القديم كان مركزا لالتقاء الطرق التجارية بين هذه القارات، كما أنّ انفصال الماء وتداخله في اليابسة في المنطقة العربية جعلها تحتل موقعا تجاريا هاما في تطوير الحضارة العربية في العصور الوسطى وجسرا تعبر منه الثقافة والفكر وليس فقط لنقل السلع والبضائع[1].

التجارة من أهم الأسباب التي أدت إلى تدوين الرحلات لمعرفة طرف التجارة البريّة والبحريّة، ولعل أول ما اِرتبطت به الرحلات علم تقويم البلدان والمسالك والممالك، لوصف الطرق والمناخ والعديد من الأمور الأخرى»[2].

5.2. دوافع صحية: كالسفر للعلاج أو الاستشفاء أو إراحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالارتحال إلى المناطق الريفية ونحوها، وقد يكون هربا من وباء أو طاعون أو تلوث[3].

3. أهمية الرحلة:

إن فن الرحلات من ألصق الفنون بحياة الأفراد والأمم، ويقول حسيني محمود حسين: "إن نمط الرحلات يتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد، إذا تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ الجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الأدب والأديان والأساطير. فالعلوم تستمد زادها من الرحلة والرحلات تكشف ما لا يكشفه التاريخ، فالتاريخ عام يشتمل على تصوير لحياة البلدان الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ونظم الحكم لشعب من الشعوب، وهذا ما حققته الرحلات غير أنها أعطت كل ذلك بعده المناسب، وتطرقت إلى تحليل

[1] نوال عبد الرحمان شوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، ص20.
[2] المرجع السابق، ص47.
[3] فؤاد قنديل، أدب الرحلات في التراث العربي، ص20.

جوانب لم تتطرق إليها الوثائق التاريخية، فقامت الرحلات بوضع كل ذلك في دائرة الإشعاع التي توجه إليها لاستجلاء الواقع وإخراج التاريخ عن حدوده الضيقة»[1]. فأهمية الرحلات تكمن في إظهار الجوانب التاريخية للبلدان. "كما أن أهمية الرحلات تكمن في قيمتها العلمية والفنية «فالقيمة العلمية تمثلت بتزويد أهل التاريخ والجغرافيا والآثار والأدب وغيرهم بمعلومات قيمة عن وصف المدن والطرق والعمران والبلدان وأخبار الناس وعاداتهم وتقاليدهم والحوادث الغريبة أما القيمة الفنية فتزود القراء بمعلومات ممتعة وتستعرض الأحداث بصورة أدبية"[2]. وبهذا يمكن القول إن الرحلة تخدم جميع العلوم بمختلف مجالاتها.

اعتبر علماء الأدب المقارن أدب الرحلة قسما من أقسام الأدب في تصنيفهم الحديث فهو ينتمي إلى أدب الرحلات الواقية .

المبحث الثاني: ماهية أدب الرحلة.

إن لأدب الرحلة أهدافه وأدواته وهذا نلاحظه من خلال الغاية من الرحلة وقدره صاحبها ومهاراته الأدبية ومن هنا يدخل هذا الأدب في مجال الإبداع وقد جاءت ماهيته في عدة معاجم،فصاحب معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب يقول: "إن أدب الرحلات مجموعه من الآثار الأدبية التي تتناول اِنطباعات المؤلف عن رحلته في بلاد مختلفة وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي نشاهدها،ويسرد مراحل رحلته مرحلةً مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن

[1] نوال عبد الرحمان شوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، ص52.
[2] المرجع نفسه، ص53.

واحد.فالرحالة ينقل لنا من خلال رحلته انطباعاته عن البلدان التي زارها حيث يعرض لنا جانب من حياتهم ويرصدوا لنا عاداتهم وتقاليدهم كما يصاحب سرده وصفا دقيقا لكل ما يشاهده من مناظر. وقال أيضا يعتبر أدب الرحلات إلى جانب قيمته الترفيهية أو الأدبية أحيانا مصدرا هاما للدراسات التاريخية والمقارنة خاصة بالنسبة للعصور الوسطى،كما أن علماء الأدب المقارن اعتبروه قسما من أقسام الأدب في تصنيفه الحديث"[1]. أما الدكتور إنجيل بطرس فيقول:" أن أدب الرّحلات هو ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلات الواقعية، وهي الرحلة التي يقوم بها رحال إلى بلد من بلدان العالم ويدون وصفا لها ويسجل فيهمشاهداته وإنطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب...

«وهناك عاملان لابد من توفرهما في أدب الرحلات وهما:

أولا: يكون من يكتب عن الرحلات رجل بطبعه محب للرحلات.

ثانيا: أن يكتب بأسلوب الذي يجعل وصفه للرحلة يعكس روح الرحلة والرغبة الشديدة التي تمتلكه للقيام بها" [2]. فالرحالة يجب أن يجتاحه حب المغامرة والاكتشاف أن ينقل لنا رحلته بوصف وبأسلوب يعكس روح رحلته.

أدب الرحلات "أدب يقوم على السرد القصصي يضمنه الكاتب الرحالة مشاهداته وإنطباعاته في البلاد التي يزورها وهي تقوم على وصف الطبيعة الجغرافية أو نبذه عن التاريخ أو عادات الناس وتقاليدهم وأنماط عيشهم

[1] مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، المجلد الأول، ص17.

[2] ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي، كلية الآداب – جامعة القاهرة، 1995م، ص36.

وتفكيرهم وهذه الأمور تكون في بعض الأحيان مرجعا وثائقيا هاما موضوعا للدراسات المقارنة من مختلف المجالات الفكرية والأدبية"[1].

"لقد أفاد أدب الرحلات بغنى موضوعاته في صرف أصحابه في غالب الأحيان عن اللهو والعبث اللفظي، والتكلم في تزويق العبارة، أثاره للتعبير السهل المؤدي للغرض لنضجه بغنى تجربته صاحبه، مما يفتقده الكثير من الأدباء وبعد عصورنا الأدبية"[2]، فخبرة الرحالة وثقافته تكون مرآة عاكسة لرحلته. "كما يؤكد شعيب حليفي على سردية أدب الرحلة فيرى أن الرحلة تحضر في نصوص أدبية كعنصر مكون لبنيتها في القصيدة والمقامة وسرود الأخبار وغيرها، ثم ما لبث أن أصبحت نوعا أدبيا قائما بذاته، عندما بدأ تدوينها وكتابتها كنص سردي يحكي هذه التنقلات". وبالتالي انتقلت الرحلة من كونها فعلا يتجسد بحدوث الأفعال في زمان ومكان معينين إلى اعتبارها فعلا محاكيا، يختزل تجربة الفعل السابق ويدوّنه في شكل سرود بضمير المتكلم.

إن وجود ملامح القصة في أدب الرحلة قد أسهم كثيرا في رواج هذا اللون الأدبي قديما وحديثا، إذ النفس تواقة إلى معرفة ما رآه و ماعاناه واِحتك به الرّحالة وبخاصة حينما يكون الرحالة أحد شخوص هذه القصص.

فالرحلة إذا عامل تحفيزي على الحكي القائم على الانتقال من المكان إلى آخر، ومن زمان إلى آخر فهي سردية واصفة اِنطباعية ذاتية في أجزاء وموضوعية في أخرى وهي تخضع لقانون الخطاب الشائع من مرسل ومرسل إليه ورسالة

[1] خرخاش صالح، جعفر سناء، أدب الرحلة في مذكرات شاهد للقرن لمالك بني نبي، مذكرة لنيل شهاد الماستر في الأدب العربي، جامعة العربي تبسي، 2022/2021، ص06.
[2] فؤاد قنديل، أدب الرحلات في التراث العربي، ص64.

سارد، سرد،مسرود له إلى جانب إخلاصها لتقاليد الكتابة والتأليف والافتتاح والاختتام[1].

لقد حاول الرحالة تبيين صورة الشعوب التي زاروها وكشف عاداتهم و تقاليدهم

المبحث الثالث: الصورة.

ذكر تعريف الصورة في عدت معاجم عربية تشير إلى عدت مفاهيم وهذا ما سنتطرق إليه .

1. مفهوم الصورة:

لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور، مادة «ص.و. ر»«الصورة في الشكل، والجمع صور، وقد صوره فتصور، وتصورت الشيء توهمت صورته، فتصور لي، والتصاوير: التماثيل.

قال ابن الأثير: "الصورة ترد في لسان العرب «لغتهم» على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة كذا وكذا أي صفته" [2].

جاءت لفظة الصورة في القرآن الكريم في قول: «فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ» سورة الانفطار- الآية 08. وفي قوله كذلك: «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاء بِنَاء وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» سورة غافر – آية 64.

[1] سديرة سهام، أدب الرحلة (الماهية، البنية والشكل)، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس كلية العلوم الإنسانية، المجلد 3، العدد 7، 31-12-2017، ص184.
[2] ابن منظور: لسان العرب – المكتبة الشاملة، فصل الصاد المهملة، ج4، ص473.

«خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» سورة التغابن – آية 03.فمصطلح الصورة من خلال الآيات القرآنية أخذ المعنى الخارجي للإنسان أي المظهر. فالله عز وجل خلق الإنسان في أحسن تصوير وفضله على سائر المخلوقات.

اصطلاحا:" يَعتبر الأستاذ أحمد الشايب الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معا إلى قراءه وسامعيه الصورة الفنية ويذكر أن لها معنيين:

– ما يقابل المادة الأدبية، ويظهر في الخيال والعبارة.

– ما يقابل الأسلوب ويتحقق بالوحدة وهي تقوم على الكمال والتأليف والتناسب. فمقياس الصورة عنده هو قدرته على نقل الفكرة والعاطفة بأمانة ودقة، فالصورة هي العبارة الخارجية للحالة الداخلية وهذا هو مقياسها الأصيل وكل ما نصفها به من روعة وقوة إنما مرجعه هذا التناسب بينها وبين ما تصور من عقل الكاتب ومزاجه تصويراً دقيقا خاليا من جفوة وتعقيب، فيه روح الأديب وقلبه بحيث نقرأه كأن نحادثه، ونسمعه كأن نعامله"[1]. ويقصد هنا أن الصورة تعني توضيح الفكرة الداخلية والتعبير عنها.فالصورة هي تعبير عن حالة أو حدث بأجزائها أو مظاهرها المحسوسة، فهي لوحة مؤلفة من كلمات أو مقطوعة وصفية في الظاهر... وهي تتخطى حدود الاستعارة والمجاز والتشبيه، وتتعدى مجال الخيال والعاطفة فقد تنشأ عن أصل واقعي بعيد عن الخيال من جهة وضروب البيان من جهة أخرى، وهما الجانب الإيحائي في الصورة والذي أكدته في الرأي نفسه"[2].

[1] محمد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، دار الرشيد للنشر، العراق، 1981م، ص31.

[2] المصدر نفسه، ص32.

يرى الدكتور جابر احمد عصفور أن الصورة طريقه خاصة من طرق التعبير أو وجه من أوجه الدلالة، وتنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير، ولكن أيا كانت هذه الخصوصية، أو ذاك التأثير فإن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته أنها لا تغير إلا بطريقة عرضه وكيفيه تقديمه، فالصورة عنده أسلوب يحافظ على سلامه النص من التشويه، ويقدم المعنى بتعبير رتيب، وهي بعد طريقة للاستحداث خصوصية التأثير في ذهن المتلقي في مختلف وجوه الدلالة التي يستقيها من النص في منهج تقديمه وكيفيه تلقيه، وما يحدثه ذلك عنده من متعه ذهنية أو تصور تخيلي نتيجة لهذا العرض السليم[1].

2. نشأة الصورائية:

إنّ نشأة الصورائية تعود إلى النصف الأوّل من القرن 19 حيث قامت الأديبة الفرنسية «مدام دي ستال» بزيارة طويلة لألمانيا، وذلك في وقت تصاعد فيه العداء وسوء الفهم بين الشعبين الفرنسي والألماني، وأثناء الإقامة فوجئت الأديبة بمدى سوء الفهم والجهل الذي يعاني منه الفرنسيون لألمانيا، فلاحظت «دي ستال» أنّ الفرنسيين يجهلون أبسط الأمور المتعلقة بالمجتمع الألماني حيث رسموا في أذهانهم صورة لشعب فظ غير متحضر، يتكلم لغة غير جميلة، ليس له إنجازات أدبية أو ثقافية تستحق الذكر، إنّها باختصار صورة يرسمها شعب لشعب آخر يعده عدوا له[2]. فهنا أظهرت لنا أنّ الشعب الفرنسي كان يعتبر الشعب الألماني عدوا وكون عنه صورة نمطية وغير حقيقية، ومن خلال هذه الزيارة «إستطاعت «مدام دي ستال» أن تكتشف الحقيقة التي تم تزويرها

[1] المصدر السابق، ص34.
[2] ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون ،ط1 ،2010 ،ص11.

للآخر، فلمست عبر التجربة الحية والمعايشة اليومية تمتع الشعب الألماني بالطيبة والاستقامة والصدق، كما فوجئت بجمال الطبيعة لاسيما نهر الراين والغابة السوداء، وبغنى الأدب الألماني والمستوى الرفيع الذي بلغته الفلسفة الألمانية، وبذلك لم تركن الأديبة للصورة المألوفة عن الآخر، بل حاولت معرفة الآخر عبر خبرتها الخاصة، فاقتربت بعقلها وروحها من الآخر الذي أبعدته العداوة وسوء الفهم، واِستطاعت أن تقربه من صورته الحقيقية بفضل بحثها الذاتي عن الحقيقة، فكانت محصلة الرحلة كتابا يحمل عنواناً بسيطاً «ألمانيا» وفيه حاولت تصحيح الصورة الموجودة في أذهان شعبها عن الشعب الألماني».[1]

3. الصورولوجيا في الأدب المقارن:

الصورولوجيا «Imagologie» هو علم دراسة الصورة الأدبية، وقد شهد هذا العلم اِزدهاراً ملحوظاً بسبب أهميته في الانفتاح على الآخر فالميدان الذي تشتغل فيه الصورولوجيا وتتخذه موضوعا لها هو الأجنبي كما يصوره الآخر.

فماجدة حمود ربطت اِزدهار هذا لمجال بسبب رغبة المثقفين في البحث عن هذه العلاقة أو محاولة خلق جو من التعايش بين الأمم حيث قالت: "وقد شهد هذا المجال اِزدهار ملحوظاً في هذه الأيّام بسبب رغبة المثقفين في سيادة مناخ من التعايش السلمي، إذ أنهم يبحثون عن دور فاعل في الحياة، كي يقاوموا لغة العداء التي قد يشيعها المتعصبون والسياسيون"[2].

وهذا ما رآه «ألان ثورين» في كتابه نقد الحداثة "ليس هناك من خبرة أكثر أهمية من العلاقة مع الآخر إذ يتشكل الطرفان كذوات، وحين يتم الاعتراف

[1] المرجع السابق ،،ص11
[2] المرجع نفسه ، ص9.

بالآخر أي يكونه ذاتا تندفع الذات إلى المشاركة في جهود الآخر من أجل التحرر من العراقيل التي تمنعه من الحياة الإنسانية الكريمة، وهذه الغاية لا يمكن أن تكون فردية فقط، لأنّ حياة الإنسان لا تزدهر إلا إذا عاش حياة اجتماعية منفتحة على الآخر مثلما هي منفتحة على الذات»[1]. فهو يركز على ضرورة معرفة الآخر والتعايش معه حتى يتمكن من تشكيل صورة حقيقية عنه وهذا يتطلب حياة منفتحة على الآخر.

إنّها «الحقل الذي يشتغل بدراسة الصورة والتمثيلات والطرق التي يرى بها مجتمع ما مجتمع آخر، فموضوعها حسب «**جان ماري كاري** J.M. Carré»**وفرانسوا غويار**هو الأجنبي".[2] ،أما **دانييل هنري باجو**« H. pageaux» فيعرفها بأنّها "التعبير الأدبي أو غيره عن فجوة كبيرة بين نظامي الواقع الثقافي، وهكذا فالصورة الأدبية هي مجموع الأفكار والمشاعر حيال الأجنبي التي تتخذ في خضم التكوينين الأدبي والاجتماعي"[3]. أي الأفكار والمشاعر التي يكنها شعب ما لشعب آخر."كما يذهب أيضا إلى اعتبار الصورة تنقل عدداً كبيراً من المعطيات الثقافية والاجتماعية والفكرية وحتى الدينية، كما تتقاطع في أغلب الأحيان مع مجالات علمية كعلم الأحياء «البيولوجيا والكيمياء أو الطب أو مجالات اجتماعية كالتاريخ أو علم الإنسان «الأنترولوجيا» "[4].

يرى **محمد غنيمي هلال** أن "دراسة الصورة تنطوي ضمن حقل الأدب فهي من ميادين الأدب المقارن، تهتم دراسة الصورة في حقل الأدب المقارن

---

[1] المرجع السابق، ص9-10.

[2] زهرة مزوني، دراسة الصورة في الأدب المقارن، المدرسة العليا للأساتذة، مجلة الباحث، العدد 16، ص76.

[3] المرجع نفسه، ص76.

[4] جاك وأمون، الصورة، تر: ريتا الخوري، المنظمة العربية للترجمة مكتبة الفكر الجديد، ط1، بيروت، لبنان، 2013، ص7.

بالبحث في صورة الآخر لدى الأنا وصورة الأنا لدى الآخر.أما **عبد المجيد حنون** يرى أن البحث عن الغرض من دراسة الصورة في الأدب المقارن هو البحث عن الغرض من الدراسات الأدبية عموما، لأن الأدب المقارن جزء من الدراسات الأدبية، من أولى الأغراض من دراسة الصورة توضيح تلك الصورة وإبراز جمالها أو قبحها والبحث عن قيمتها الأدبية إلى جانب معرفة الشعوب لبعضها البعض[1]. ومنه نستنتج أن الصورولوجيا تهتم بدراسة ورصد وتحليل الصورة التي تكونها الشعوب.

4. نمطية الصورولوجيا:

للصورة النمطية عدة تعاريف تناولها الكتاب في مقالاتهم ومؤلفاتهم حول الموضوع فقد عرفها الباحث **غردون**بأنّها «إعتقاد مبالغ فيه يرتبط بفئة وظيفته تبرير السلوك إزاء هذه الفئة».

وقد عرّفها **والتر ليبمان**(Walter Libman) وهو أوّل من إستعمل مصطلح الصورة النمطية – بأنّها «عملية منظمة ومختزلة تشير إلى العالم وتعبر عن قيمنا ومعتقداتنا" [2].أما الدكتور **محمد جمال** فيقول أنّها "إستخدام الأنماط الفكرية السائدة أو الصورة الذهنية السائدة عن فرد أو جماعة أو شعب وإلصاق مبادئ ونظم وأفكار بشكل يسهل قبولها لدى عامة الناس، فكلمة شيوعي تعني أحمر، وإمبريالي تعني أمريكي ويهودي تعني خبيث وبشع ومخادع، والهدف الرئيسي من تسليط الأضواء على هذه الصورة النمطية الجامدة السلبية هو إثارة الضغائن والأحقاد والكراهية ضد صاحبها.ومن هنا

[1] زهرة مزوني، دراسة الصورة في الأدب المقارن، ص83.
[2] علي خليل شفرة، الإعلام والصورة النمطية، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2015، ص10.

يمكن القول أن الصورة النمطية هي التصور الذي يقفز إلى الذهن عند ذكر شخص أو فئة أو شعب نتيجة ما أقترن في الذاكرة من تراكمات معرفية صنعت حولهم أحكاما مسبقة ودون مراعاة لفروق فردية أو جنسية أو ثقافية بين أفراده وفئاته" [1].

أجمع معظمهم على أن الصورة تشكلت في أذهان الشعوب أو المجتمعات من خلال تلك التراكمات سواء كانت تاريخية أو عقائدية فمثلا صورة الإفريقي النمطية في الذهن الغربي: متفحم البشرة، طويل القامة، هزيل الجسد يسبب نقص التغذية، تغطي أسراب الذباب وجهه.

والقارة الإفريقية عموما في الذهن الغربي قارة الحروب الأهلية، متخلفة، قارة الأمراض وخاصة مرض نقص المناعة، وقارة الكوارث الطبيعية والدمار البيئي والجوع[2].، فعن النمط السلبي تقول ماجدة حمود في كتابها أدب الرحلات في التراث العربي "عد الصورة السلبية وليدة علاقات متوترة، تضع الآخر ضمن إطار واحد مشوه «تشويها سلبيا» فمثلا بدت لنا صورة الأوروبي المستعمر في كثير من نصوص الأدب العربي مشوهة «مادي، غير أخلاقي، يزرع الضغينة حيثما حل..."[3]. ومن هنا تصبح الصورة وسيلة من وسائل التعبئة النفسية ضد الآخر «العدو»، أما النمط الإيجابي فهنا "نجد أنفسنا أمام كاتب أو جماعة من الكتاب يعانون من حالة تصل إلى حد الهوس بالآخر، فيسيطر وهم الانبهار على الوجدان مما يؤدي إلى رسم صورة الآخر الأجنبي على حساب الصورة الحقيقية له، لهذا يمكننا أن ندعو هذا التشبيه بالتشويه الإيجابي، فمثلا نجد بعض الكتاب العرب منبهرين بالنموذج الغربي «حرية،

[1] المرجع السابق،ص11.
[2] المرجع نفسه، ص12.
[3] ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، ص27.

ديمقراطية....» إلى درجة نجد بعضهم لم يكشف أن يكون من دعاة الحضارة الغربية، بل وجدناه يغض الطرف عن مشكلاتها، فلا يتبنى أي موقف نقدي تجاهها"[1]. فالانبهار بالحضارة الغربية جعلهم يغضون الطرف عن المشاكل التي تواجهها ويبتعدون عن انتقادها.

فالصورة النمطية سواء كانت سلبية أو إيجابية مرآة نتعرف من خلالها على نقاط ضعفنا كي نتمكن من تغييرها وتطوير حياتنا إلى الأفضل.

[1] المرجع السابق، ص 27

الفصل الأوّل:

صورة الأجنبي العربي والمسلم في رحلة محمد أسد الطريق إلى مكة

المبحث الأول: وصف الكتاب ودوافع الرحلة

المبحث الثاني: صورة العرب

المبحث الثالث:صورة المسلمين

المبحث الأول: وصف الكتاب ودوافع الرحلة

"كتاب الطريق إلى مكة يجسد صولة لبطولة إنسانية فريدة تصلح لأن تكون رواية درامية يبحث عنها خيال مؤلفي كتب المغامرات.ومخرجي الأفلام التي تحبس أحداثها الأنفاس. الكتاب يدخل في أدب الرحلات وكتب السيرة الذاتية فهو مذكرات حية لكل ما تحمله الكلمة من معنى فالرجل يروي ما مر به من أحداث ترحاله المتواصل"[1]،"كتاب الطريق إلى مكة عدسة مكبرة تجعلك تطمئن إلى أن الرجل الذي ترك إسلامه وكتاباته الإسلامية كل هذا الأثر كان صادقا مستقيما وهو يعبر ذلك الطريق الذي أوصله إلى مكة.ولا نزكي على الله أحدا ولكن الصدق والاستقامة في هذا المقام يعززان إسلام محمد أسد وفكرة تأثيره ويبطلان كل تشكيك في قدرة الإسلام على الاقتناع و الهداية و التغيير ويبددان كل تشويه حول الدوافع والنيات"[2]

طبع الكتاب لأول مرة سنة 2010 وقد ترجم إلى عدة لغات منها الإنجليزية والهولندية واليابانية والسويدية والفرنسية،وترجم إلى اللغة العربية عن طريق الدكتور رفعت السيد علي ويحتوي الكتاب على 500 صفحة وقد نشر بدار منشورات الجمل ببغداد بيروت.

يحتوي الكتاب على مقدمة طويلة وقد برع الكاتب في سرد أحداث الرحلة حيث عبر عن سيرته الذاتية من خلال 12 فصلا،وأطلق على كل فصل اسما يتناسب مع الأحداث الواردة فيه فجاء كالآتي:

---

[1] محمد أسد، الطريق إلى مكة، تر. د رفعت السيد علي،مكتبة الملك عبد العزيز العامة 1904 ص185.

[2] المصدر نفسه، ص 186.

الفصل الأول (العطش)، الفصل الثاني (بداية الطريق)، الفصل الثالث (رياح)، الفصل الرابع (أصوات)، الفصل الخامس (روح وجسد)، الفصل السادس (أحلام) الفصل السابع (منتصف الطريق)، الفصل الثامن (جن)، الفصل التاسع (رسالة فارسية)، الفصل العاشر (دجال)، الفصل الحادي عشر (جهاد)، الفصل الثاني عشر (نهاية الطريق).

إن الكتاب قطعة رائعة من الفن الأدبي يمثل رواية واقعية لا بالمعنى الفني للاصطلاح فحسب بل بالمعنى الحقيقي، إن قدرة المؤلف التعبيرية تجعل الألفاظ نابضة للحياة والحركة، تكاد تحس مضامينها بالحواس الخمس، تقرأها وكأنك تشاهد شريطا سينمائيا ناطقا، بل أبلغ من ذلك تحس هواجس الخواطر وتدفق الانفعالات[1]، "كما أن الكتاب يتضمن وصفا دقيقا ومعبرا عن الشرق الأوسط قبل ثمانين عاما لا من حيث المظاهر المادية فحسب بل من حيث الملامح الاجتماعية و الثقافية والنفسية للسكان ".[2]

إن القارئ لكتاب الطريق إلى مكة يشعر بشغف ولهفة محمد أسد وهو ينقل لنا تفاصيل رحلاته، رغم المخاطر والصعوبات التي اعترضت طريقه فما هي الدوافع الحقيقية لهذه الرحلة؟. هناك عدة دوافع للرحلة التي قام بها محمد أسد أهمها ما جاء في قوله: "ما أرويه في هذا الكتاب لا يعد سيرة ذاتية لامرئ يشعر بالفخر إزاء ما قام به في الحياة العامة، كما لا يعد رواية لمغامرات خضتها ــ على الرغم من أنني صادفت مغامرات عجيبة ــ إلا أنها لم تمثل لي أكثر من مجرد أحداث مرافقة و مصاحبة لما كان يدور داخلي و ما أصادفه، وما عدى كل ذلك لا يعد قصة حياة رجل يفتش بقصد و نية عن إيمان عميق أو

[1] المصدر السابق ، ص 28.
[2] المصدر نفسه، ص 58.

عقيدة بذاتها فذلك الإيمان حل علي عبر رحلة السنين دون أن أسعى إليه، حكايتي ببساطة هي حكاية اكتشاف رجل أوروبي للإسلام و اندماجه في المجتمع الإسلامي .[1]، إن انشغال محمد أسد بالتفكير في الإسلام جعل الحقائق تتكشف أمامه حيت قال:" كان التفكير في الإسلام يشغل ذهني إلا أن الأمر بدا لي في ذلك الوقت أنه رحلة لاستكشاف ما أجهله من تلك المناطق. كل يوم كان يمر يضيف إلى معارف جديدة ويطرح أسئلة جديدة تنبع من داخلي لأجد إجاباتها تأتيني من الخارج جميعها أيقظت شيئا كان نائما في أعماقي،وكلما نمت معارفي عن الإسلام كنت أشعر مرة بعد أخرى أن الحقائق الجوهرية التي كانت كامنة في أعماقي من دون أن أعي وجودها، بدأت تتكشف تدريجيا،ويتأكد تطابقها مع الإسلام".[2]، كما يوضح محمد أسد أنه لم يكن أمامه إلا هذا الطريق في قوله:" لم يكن لي طريقا آخر غير هذا الطريق، ومع أنني لم أتعرف إليه مدى سنوات بدايةعمري إلا أن مكة المكرمة كانت دائما هي هدفي واتجاهي. كانت تناديني مند زمن طويل قبل أن يعي عقلي أنها تناديني. كانت تعلن بصوت قوي مملكتي في الحياة الدنيا كما هي في الحياة الآخرة، فمملكتي للجسم كما هي للروح، تتسع لما يفكر به الإنسان وما يحسه ببدنه وما يفعله. تجارته وصلاته، فراشه نومه وعلاقته بالآخرين، مملكتي لا تعرف حدا ولا نهاية وعندما أيقنت بذلك على مدى الأعوام، أدركت إلى أين أنتمي، كانت أخوة الإسلام بانتظاري مند مولدي، واعتنقت الإسلام،وتحققت آمالي في الانتماء لأكون جزءا من كل واحد".[3]

---

[1] المصدر السابق ،ص31.
[2] المصدر نفسه، ص 280 ــ 281.
[3] المصدر نفسه، ص.467

المبحث الثاني: صورة العرب

احتلت منطقة شبه الجزيرة العربية مكانة متميزة مند القدم نظرا لموقعها الاستراتيجي فهي تقع في قلب العالم عند نقطة تقاطع خطوط المواصلات الرئيسية بها،وهي تربط الخليج العربي بالبحر الأحمر غربا، وتربط الشام والعراق بجنوب شبه الجزيرة العربية إضافة إلى كونها موطن الحضارات ومهد الرسالات، ومنطقة شبه الجزيرة العربية منطقة جذب واهتمام ومحط أنظار الكثيرين فشهدت مجيء عدد من الرحالة الأوروبيين الذين دفعهم إلى ذلك عدة أسباب مختلفة منها الدينية والعلمية والسياسية إلى جانب حب المغامرة والاستكشاف.لقد زار الرحالة الغربيين شبه الجزيرة العربية واندمجوا مع أهلها واستطاعوا أن يتعرفوا على عاداتهم وتقاليدهم ومن بين هؤلاء ليوبولدفايس(Liopolg Vasse) الذي توغل في الجزيرة العربية واكتشف عادات العرب وتقاليدهم واستطاع أن يقف في رحلته على معالم الشخصية العربية، وسنحاول من خلال الصورة التي قدمها المؤلف تبيين أهم سيمات الشخصية العربية التي تناولها بالوصف الدقيق والمعبر".[1]

1. الخصائص العرقية والصفات الجسمية

جاب محمد أسد خلال رحلته أنحاء الجزيرة العربية والبلدان العربية الأخرى وعاش وعاشرا سكانها واستطاع أن يصور لنا خصائص تلك الشعوب، وما لحضناه ميله إلى وصف البدو والصحراء التي سحرته بجمالها وقساوستها، فالصحراء بالنسبة إليه هي الخيمة والبدو والإبل والسماء الصافية.

[1] ينظر: محمد أسد، الطريق إلى مكة، ، ص56.

لقد ركز المؤلف على وصف البدو البسطاء لأنه أحب هذه الفئة وأعجب بها وبطريقة عيشها فقد وصفهم الأمير عبد العزيز أل سعود في قوله:"البدو أناس فطريون. أنهم فقراء إلى أن قلوبهم مملوءة بالإخلاص .[1]

وفيما يلي سنحاول التطرق إلى الصفات العرقية للعرب حسب ما ذكره المؤلف في رحلته الطريق إلى مكة.

1.1 طول القائمة

ذكر المؤلف هده الصفة في عدة مواضع من رحلته وأكد أن البدوي عموما يمتاز بطول القامة فقال:" البدو رجال طوال القامة، بنظرات حادة"[2] كما تعجب لطول قامة الملك عبد العزيز أل سعود قائلا «تطلعت في تعجب إلى قامة الملك عبد العزيز الفارعة. وحين لتمت طرف انفه وجبهته كان عليا أن انهض على أطراف أصابع قدمي، بينما انحنى هو قليلا حتى أتمكن من لثم وجهه...كانت قامته لا تقل عن ستة أقدام ونصف القدم، ولا يبدو طول قامته إلا حين ينهض واقفا".[3]، أما عن وصفه للأمير فيصل وهو الابن الثاني للملك عبد العزيز الذي لاتقاه في مكتبة الحرم فقال "كان رجلا طويلا ونحيلا وعليه سيماء الجلال والمهابة".[4]

2.1. البدن النحيل والملامح الحادة

من الصفات التي يتميز بها البدوعن غيرهم البدن النحيل والملامح الحادة حيت قال المؤلف وهو يصف زيدا "جبهة عريضة وبدن نحيل"[5]،وقال أيضا

---

[1] المصدرالسابق،ص 56.
[2] المصدر نفسه ، ص 190.
[3] المصدر نفسه، ص 56.
[4] المصدر نفسه 53.
[5] المصدر نفسه 46.

"ألقيت عليه نظرة جانبية كان وجهه بملامح حادة تحيطها خصلة طويلة من الشعر".[1] كما وصف لنا رجلا من البدو التقى به وهو يسير عبر الفيافي والكثبان قائلا: "كان المتحدث شيخا ضئيل الجسم، حاد الملامح بلحية سوداء مدببة، وكان كبيرهم، نظراته الحادة الثاقبة مرت على وجه زيد في تمعن ثم استقرت في ريبة على وجهي".[2]

3.1. البشرة البيضاء الضاربة للسمرة

إن لـــون البشرة السائد بين البدو هو البشرة البيضاء المائلة إلى السمرة ففي وصفه لبشرة منصور أحد رجال ابن مساعد الذي رافقهم في أحد رحلاته قال: "بشرة بيضاء ناصعة قليلا"[3] كما وصف راكبي الجمال فقال:" كنا نلتقي أحيانا براكبي جمال يظهرون فجأة لا تجري في قلب الصحراء كانوا من رعاة الإبـــل إحالة الشمس بشرتهم إلى لون برونزي" .[4]

الجد والحزم

تختلط أمارت الحزم بالجمال الحي مما يكون جاذبية مميزة لبدو صحراء العرب، عدا الاعتزاز بالذات مع مودة إنسانية حميمة وصادقة، فهو ينسب هذه الصفات إلى زيد قائلا:"أحسست بمن يجدب كم قميصي، استدرت وجدت أمامي رجلا عربيا حسن الوجه يبدو عليه أمارت الجد والحزم."[5]

---

[1] المصدر السابق،120.
[2] المصدر نفسه، ص 51.
[3] المصدر نفسه، ص 261.
[4] المصدر نفسه، ص 284.
[5] المصدر نفسه، ص 46.

5.1. العيون السوداء

لسحر العيون و جمالها تأثير كبير على الرجل،هاهو محمد أسد يصف لنا عيون امرأة شابة قائلا:" شاهدة امرأة بدوية شابة قادمة في مواجهة رداءها فضفاض طويل يلامس الأرض من خلفها ونصف وجهها الأسفل مغطى بلثام، عيناها متألقتان شديدتا السواد".[1]

2. السمات النفسية عند العرب

1.2. التعصب والتشبث بالرأي

إن الإنسان العربي متعصب لرأيه ومتمسك بأفكاره ومقتنع بها، ولا تستطيع أن تغير له وجهة نظره مهما قدمت له من أدلة و براهين خاصة البدوي فهو سريع الغضب إذا خالفه الآخرين في الرأي .ومن أمثلة ذلك الموقف الذي تعرض له المؤلف مع البدوي الذي اتخذه دليلا في رحلة رحلاته ،لقد اغتاظ بشدة من آلة التصوير حيت قال: "ستة أيام أو سبعة جنوب الرياض حيث تلبس الدليل حالة من الضيق و الغضب، بل الرفض بعدما شرحت له وظيفة آلة التصوير التي كنت احملها آنذاك ... بدويا متشددا ينتمي إلى تنظيم الإخوان في الرين، قرر أن يتركنا لامتلاكنا آلة مكروهة تصنع الصور المحرمة دينيا"[2] رغم أن المؤلف حاول أن يقنع البدوي الشرير انه لا ضرر من آلة التصوير، ولكن بلا جدوى، لم تفلح معه كل وسائل الإقناع.

[1] المصدر السابق ، ص 334.
[2] المصدر نفسه، ص 81.

2.2. البساطة في الأفعال والحركات

لم تأثر الحياة في الجزيرة العربية بالبشر بقدر ما أثرت الجزيرة العربية بقسوة صحاريها و صرامتها في البشر، وأجبرتهم على سلوكيات معينة،و اختزال كل الأفعال التي تمليها عليهم و اختزال الضرورات الخارجية إلى حدها الأدنى تلك البساطة الموروثة في السلوكيات و الأفعال واضحة في إيماءاتهم و حركاتهم وفي سلوكهم و مواقفهم إزاء الحياة .[1]يقول المؤلف و هو يصف مرافقه زيد "أجمل ما فيه خفة حركته هادئة،واعية بإيقاعها، في غير عجلة وبلا تكاسل... لاترى هدا النمط من الحركة إلا بين البدو الذي انعكس اتساع الصحراء عليهم وعلى حركتهم".[2] و في مناسبة أخرى تحدث المؤلف عن حادثة وقعت له عندما صافح الأمير فيصل فقال:" فصافحني، وحين انحنيت أمامه مدى يده و رفع هامتي وقال: نخن أهل نجد لا نحب أن ينحني رجل أمام رجل أخر، لا ينحني الرجل لغير الله".[3]

ومن الشهادات التي اعتمدنا عليها واستقيناها من الرحلة أيضا الحادثة التي وقعت بمكة أتناء العشاء في القصر الملكي في حضور الملك عبد العزيز أل سعود، فقد أبدى"واحد من أشراف مكة المكرمة اشمئزازه من فجاجة البدو التي رآها من بعض أهل نجد الذين كانوا يأكلون الأرز في قبضات كبيرة، وحتى يظهر رقيه راح يأكل الأرز بأطراف أصابعه. وفجأة انفجر صوت الملك قائلا:"أنتم أيها المتأنقون تأكلون طعامكم بتأنق وحذر وبأطراف أصابعكم هل

[1] المصدر السابق، ص 84.
[2] المصدر نفسه، ص 84.
[3] المصدرنفسه، ص 95.

السبب في ذلك تعودكم النبش بأصابعكم في القاذورات؟ نحن أهل نجد لا نخشى شيئا من قبضاتنا فهي نظيفة، ولذلك نأكل بعزيمة بملء القبضة".[1]

3.2. الاستقرار النفسي والأمن الداخلي:

رغم الظروف المعيشية الصعبة التي كانت تطر هؤلاء إلى الترحال والبحث عن سبل التمسك بالحياة إلا أنهم كانوا يعيشون نوعا من الاطمئنان الروحي بلا تمزقات وبلا خوف كان لديهم سلاسة في التعامل في مع كل المشكلات التي تواجههم. فالمؤلف أكد أن أوربا فقدت هذا النوع من التلاحم قائلا "أما العرب فقد وجدت لديهم ما كنت ابحث عنه بعقلي الباطن دون أن أحسه بشكل ظاهر. وجدت لديهم سهولة معنوية وفكرية في التعامل مع كل مشكلات الوجود، وجدت لديهم تلاحما عصويا بين الفكر والحواس ذلك التلاحم الذي فقدناه نحن الأوروبيين".[2]الأنفاس البشرية الدافئة تتدفق من مجرى دم أولئك الناس إلى أفكارهم وإيماءاتهم بلا تمزقات روحية مؤلمة من عدم الاطمئنان والخوف والطمع والإحباط الذي جعل الحياة الأوربية حياة قبيحة وسيئة لا تعد بشيء.[3]

إن العرب تميزهم الإنسانية الخالية من أي عاهات وعلل نفسية." فمن يحيون في الصحراء يستجيبون للحياة ويستشعرونها ويتجاوبون معها بطريقة مغايرة تماما لأي بشر يحيون في مناطق أخرى، خمنت أنهم متحررون بالتأكيد

[1] المصدر السابق ، ص 255.
[2] المصدر نفسه، ص 158.
[3] المصدر نفسه،ص 157.

من عوائق وحدوديات كثيرة. فهم يعتمدون بشكل أكبرعلى إدراكهم الخاص. واستقروا على نسق من القيم مغايرة لأي أنساق أخرى".[1]

4.2. الصمت وقلة الكلام وعدم الثرثرة:

يرى صاحب الرحلة أن العرب وخاصة البدو يمتازون بقلة الكلام. فكلامهم مختصر وهادف"لا يثرثرون كثيرا، كلمة واحدة،جملة قصيرة يلقيها أحدهم باهتمام، وتحل محل مجادلات ومحاورات طويلة، لا يعرف أولئك البدو لغو الحديث، ولا الكلام بمجرد الكلام، الصمت صفة من صفات البدو الجوهرية، يجلسون صامتين يمرون بنا في صمت وينضرون نظرة مستطلعة مثل نظرة الطفل المستطلع، فخورين ومتواضعين في حساسية عالية عندما توجه إليهم الحديث بلغتهم، تضيء أعينهم بابتسامة مفاجئة غير مستغرقين في دواتهم ويسعدهم أن يشعر الآخرين بهم نفوس عظيمة متحفظون تماما إلاأنهم منفتحو الفكر على كل شيء في العالم".[2]

3. أخلاق العرب:

1.3. الكرم والجود وحسن الضيافة:

يعتبر الكرم وحسن الضيافة من العادات السائدة عند العرب، فإكرام الضيف صفة ملازمة لأهل البادية وهي من عاداتهم وتقاليدهم التي ورثوها عن أسلافهم وهدا ما نقله لنا المؤلف الذي عاشر العرب ونزل ضيفا عليهم طوال فترة رحلته حيث قال:" قضيت ليالي في منازل العرب،وأكلت معهم من

[1] المصدر نفسه، ص 141.
[2] المصدر السابق ، ص 190.

خبزهم".[1]، كما يرى أن الكرم عندهم ليس مجرد تقليد نبيل بل هو حرية دفينة لديهم فهم متحررون من مشاعر الشك والريبة والدليل على ذلك أنهم يعاملونك كما لو كانوا أشقاءك وشقيقاتك ويظهر هذا جليا في قوله:" أن تكون ضيفا على العرب. فهذا يعني أن تدخل عندهم ساعات، وعلى مدى بقائك عندهم يعاملونك كما لو كانوا أشقاءك وشقيقاتك، نزولك ضيفا على العرب ليس مجرد تقليد نبيل بأن يكونوا مضيافين بذلك السخاء، إنها حريتهم الدفينة، متحررون من مشاعر عدم الثقة، ويفتحون حياتهم بكل سهولة أمام ضيفهم، إنهم لا يحتاجون إلى جدران سميكة مثل تلك التي يقيمها أبناء الغرب بينهم وبين جيرانهم".[2]

يصور لنا المؤلف كرم الضيافة عند البدو و هو في مخيماتهم فيقول:" حين تحل ضيفا على مضارب البدو، ويقدمون إليك آنية مملوءة بحليب النوق الدسم في بداية الربيع حين تزهو الروابي والكثبان وتعلوها الخضرة بعد فصل المطر وتغدو قطعان الحيوانات وأثداؤها مثقلة باللبن، ومن ركن الخيمة تسمع أصوات نساء ضاحكات، وهن يطهون خروفا على النار إكراما للضيف."[3]

فهذه السجية يعلم بها حتى أطفال أوربا «إن تكن ضيفا على العرب فهو شيء ذائع الصيت ومعروف لأطفال مدارس أوربا».[4]، فالكرم لا يقتصر على سكان البادية فهو موجود أيضا عند سكان المدن والقرى، فأينما حل الضيف يقابل بالابتسامة والترحاب سواء من الفلاحين أو الصيادين وحتى الأمراء، ها هو يصف لنا كيف استقبله الأمير عبد العزيز قائلا: «حين دخلت عليه نهض فاردا ذراعيه في ترحيب قائلا: أهلا وسهلا وهي تعني للضيف أنه أينما حل بين أهل

[1] المصدر السابق،ص 178.
[2] المصدر نفسه، ص 179.
[3] المصدر نفسه، ص 179.
[4] المصدر نفسه، ص 177.

له وأنه يخطو في سهولة ويسر حيث شاء، وهي من أقدم عبارات الترحيب العربية وأجملها".[1]، وعندما يهم ضيوف الملك بالرحيل يمنح لهم الهدايا كل حسب مكانته فهم " يتلقون عند رحيلهم الهبات والهدايا التي تختلف من ضيف إلى آخر بحسب مكانته، من صرة من النقود الفضية أو عباءة إلى أكياس مملوءة بهدايا ذهبية، أما الخيول والجمال فقد كان غالبا ما يمنحها إلى زعماء القبائل".[2]

3.2. حماية الضيف وعدم الغدر به:

لا يقتصر واجب المضيف على إكرام الضيف وتقديم الطعام له بل عليه حمايته والدفاع عنه مادام في بيته، فإذا اعتدي عليه كان الاعتداء كأنه واقع على المضيف. وهدا ما يعرف بإجارة الضيف. فيحدثنا المؤلف عما حدت له أتناء الرحلة التي قاضته من فلسطين إلى سوريا عندما وصل إلى مجدل شمس وهي قرية صغيرة. اختار المؤلف منزلا "يبدو عليه يسرا الحال وطلب من الشاب أن يسمح له بالمبيت عندهم وكالمعتاد وخلال دقائق كنت من أفراد البيت".[3]، وبعد أن أحس المؤلف انه أصبح من أصحاب البيت أولى صاحب الدار الدرزي ثقته وأخبره بأنه يسافر بوثيقة مزورة فقال:"أوليت صاحب الدار الدرزي ثقتي، وطلبت منه النصح، وكنت على يقين ان العرب لا يخونون ضيوفهم ووضعت أمامه كل الحقائق، بما فيها أنني أسافر بوثيقة مزورة".[4]وقدم له المساعدة رغم انه أكد له أنا لأمر فيه مخاطرة.

---

[1] المصدر السابق ص 56.
[2] المصدر نفسه ، ص 57.
[3] المصدر نفسه، ص 183.
[4] المصدر نفسه ، ص 183.

3.3. عزة النفس والرضا بالنصيب:

إن الاعتزاز بالنفس صفة سائدة بين العرب فمهما كانت منزلة العربي في مجتمعه فانه يتمتع بعزة النفس، وهدا ما أكده المؤلف وهو يتعرف على الشخصية العربية في ارض الواقع. فنقل لنا صورة لتلك الطبقة الفقيرة قائلا:" كان سائسوا الجمال والحمير رجالا فقراء يرتدون أسمالا بالية إلا أنهم كانوا يسلكون مسلك النبلاء حين يجلسون معا على الأرض لتناول وجبة طعام من خبز القمح الرقيق مع قطعة جبن أو حبات زيتون ولم يسعني إلا الإعجاب بنبلهم وببساطتهم وهدوئهم النفسي العميق".[1]

إن الرجل العربي وخاصة البدوي يعيش حياة بسيطة فرضتها عليه الصحراء بقساوتها ولكنهم راضون بما قسم الله لهم وها هو المؤلف ينزل ضيفا على رجل عجوز فقال لهم:" عافاكم الله البيت بيتكم، كلوا بسم الله، هذا كل ما لدينا. وأشار بيده إشارة اعتذار، حركة بسيطة عفوية عبرت بصدق وبساطة عن رضاه بنصيبه من الحياة نوع من التعبير الذي يميز من يحبون بالفطرة النقية وأردف قائلا:" لكن التميز ليس رديئا،كلوا مما نستطيع أن نقدمه لكم".[2]

4.3. الإتكال والتكاسل:

تظهر هذه الصفة خاصة عند البدو فهم يعتمدون على الغنائم التي يتحصلون عليها خلال الغزو أو على الهبات التي يمنحها الملوك لهم. وقد لاحظ المؤلف هذا الجانب في تعامل الملك عبد العزيز مع رعيته وحبهم له وعلل سبب هذا الحب قائلا «ولماذا لايحبونه؟ إن راحة يده مبسوطة ودارته مفتوحة على الدوام لكل بدو نجد،وهي إحدى صفاته التي ذاع صيتها، إلا أنتلك الصفة لم

[1] المصدر السابق، ص 144.
[2] المصدر نفسه، ص143.

تنل رضاي ولا إعجابي، فكثرة الهدايا والهبات والأموال التي يغدقها عليهم الملك عبد العزيز أل سعود في سخاء جعلتهم يعتمدون كليا على كرمه،حتى إنهم فقدوا أي دافع للعمل على تحسين نمط حياتهم بالكد والجهد،وانزلقوا بالتدريج إلى حالة من المتلقين للإعانات.وبذلك ظلوا قانعين وراضين بجهلهم وكسلهم".[1]، كما أنه ذكر لنا أيضا أنهم ينحازون إلى من يمنحهم الهدايا والغنائم فيقول " كان البدو متقلبين ويبدلون مواقفهم بسهولة طبقا لما يرونه من رجحان كفة طرف على طرف آخر في أي لحظة، أو يوالون من يتسمون أنه سيهبهم غنائم أكثر".[2]

4. الحياة الاجتماعية والاقتصادية عند العرب:

جاب المؤلف شبه الجزيرة العربية بمدنها وصحاريها وشاهد الاختلاف الموجود بين طبيعة العيش في الصحراء والمدن فالصحراء تفرض على سكانها نمط معيشي معين فها هو الملك عبد العزيز يصف الحياة فيها في بضع أسطر قائلا:"لديك هذا الشوق إلى مشاهدة أبناء شعبي من البدو؟ لابد أن أخبرك، فالبدو أناس بسطاء فطريون، ونجد ارض صحراوية بلا جمال يميزها من غيرها، ورحل الجمل يابس وصلب، والطعام شحيح خلال الرحلة ولن تجد إلا الأرز والتمر إلا أن قلوبهم مملوءة بالإخلاص».[3]

أما الحياة الاقتصادية فمن خلال ما ذكره المؤلف يمكن تقسيم الاقتصاد في الجزيرة العربية إلى نمطين. النمط الأول يظهر في المدن والقرى فهؤلاء يعتمدون على الزراعة وتربية المواشي في مناطق محددة ويرتكزون على

[1] المصدر السابق ،ص 60.
[2] المصدر نفسه، ص 249.
[3] المصدر نفسه،ص 59.

التجارة في الأساس. أما النمط الثاني يعتمد سكانه على تربية الماشية والتنقل بها. وسنحاول ذكر الأوضاع والمشاهد التي استقاها المؤلف من هذه البيئة:

1.4. الترحال والرعيوجلب الماء:

يتنقل البدو في الصحراء الشاسعة والقاسية بحثا عن الماء والكلأ فهم يعتمدون على الترحال من موضع إلى آخر بوسائل بسيطة. وقد نقل لنا المؤلف هذه الصورة بدقة كبيرة وركز على المعاناة التي تعيشها هذه الفئة، فنمط حياتهم لا يتغير "اليوم مثل الأمس والغد.. عند أولئك الرعاة لا وجود للزمن باستثناء كر الأيام والفصول.فالليل جعل مظلما للنوم، والنهار مضيء لقضاء حاجات الحياة وضرورياتها، والشتاء يعرف باشتداد برودة الجو وندرة الكلأ والعشب على سفوح الجبال، فينتقلون بقطعانهم وخيامهم إلى السهول الأكثر دفئا".[1]

أعجب الكاتب بحياة البدو فراح يصف تفاصيلها بدقة كلما نزل ضيفا عليهم أو التقى بهم في الصحاري الشاسعة، فنقل لنا طريقة عيشهم، مصادر رزقهم فقال:"في فراغ بين جبال صخرية تنصب خيام مصنوعة من شعر الماعز الأسود، وقطيع من الإبل يساق إلى معاطنه قبل غروب الشمس".[2]، فالخيمة المصنوعة من شعر الماعز هو البيت الذي يحميه من المطر والبرد وأشعة الشمس فهي تساعده في ترحاله من مكان إلى آخر خاصة عندما يضطر للتنقل بحثا عن الماء فيقول :" قد تجد بئرا في واد صحراوي، يتجمع حولها رعاة البدو لسقي قطعان ماعزهم وإبلهم العطشى، ترتفع أصواتهم بغناء جماعي وهم يرفعون الدلاء، الجلدية الملأ بالمياه من أعماق البئر".[3]، ففي بداية طريقه إلى

[1] المصدر السابق، ص 296.
[2] المصدر نفسه ، ص 49.
[3] المصدر نفسه، ص 49.

مكة، يصادف الكاتب ركبا من البدو سائرين عبر الصحراء فوصف لنا هذا المشهد الساحر وصور لنا بساطة الحياة وسجل لنا ما شاهده بدقة قائلا :" سرنا من الأصيل بطيئا، وأكملنا سيرنا عبر الفيافي والكثبان، بصمت ووحدة.وبعد فترة قطع الصمت أربعة رجال أو خمسة وامرأتان من البدو الرحل يركبون الجمال ويسحبون بغلا يحمل على ظهره خيمة سوداء مطوية،وآنية طهو،وأدوات متباينة،ويعتلي كل حمولة البغل طفلان".[1]، وعندما اقترب من الوصول إلى مكة انهمرت السماء بالأمطار الغزيرة وهدا ما دفعهم للبحث عن مكان للاحتماء من تلك الأمطار فعثروا على تجمع صغير للبدو فسجل لنا المشهد قائلا:" بعد الظهر بدا المطر يهطل،وسرعان ما ابتللنا حتى التصقت ملابسنا بأبداننا، عترنا على تجمع صغير للبدو بعيدا على يسار الطريق، فقررنا أن نلجأ إلى إحدى خيامهم حتى انتهاء المطر. كان تجمعا صغيرا لبدو ينتمون إلى قبيلة حرب، استقبلونا بترحاب ...فردت بطانيتي على جلد ماعز كان مفروشا بخيمة الشيخ، بينما راحت زوجته ترحب بنا هي الأخرى، بعد ليل قضيته على ظهر البعير، غلبني النوم بسرعة على صوت تساقط المطر على سقف الخيمة".[2]فهذه اللوحات الفنية التي رسمها لنا المؤلف تبين أن حياة البدوي مقتصرة على تلك الخيمة المصنوعة من شعر الماعز التي تساير أسلوب الترحال الذي يعيشه البدوي فهي سهلة الطي وتقيه من الحر والمطر.

[1] المصدر السابق، ص 51.
[2] المصدر نفسه،ص 463 -464.

لم يكن السفر إلى مناطق بعيدة بمستغرب على أهل نجد، بل كان عادة من عاداتهم حتى إنهم يطلقون على أنفسهم «أهل الرحال »أي أهل رحال الجمال،ورحل الجمل لكثيرين منهم مألوف أكثر من الفراش.[1]

كما يروي لنا المشقة التي يعاني منها البدو لسقي جمالهم من الآبار القليلة والتزاحم والتدافع خول هده الآبار قائلا: " توقفنا بعد ظهر اليوم الثالث لمغادرتنا مدينة حائل لإرواء جمالنا من أبار(عرجا) في واد دائري محصور بين منخفضة.كان البئران كبيرتين ومملوءتين بالماء العذب في منتصف الوادي،كل بئر منهما ملك مشاع لقبيلة، الغربية ملك لقبيلة حرب، والشرقية ملك لقبيلة مطر،وكانت الأرض من حولهما جرداء منبسطة خالية من أي نبات، فكل يوم وعند منتصف النهار ترد إلى البئرين مئات الجمال القادمة من مراع بعيدة لترتوي، وتدهس كل نبتة تهم بالبزوغ. كان الوادي عند وصولنا مملوءا بالحيوانات، وقطعان جديدة تظهر من بين التلال التي تصهرها الشمس. حول البئرين كان هناك تزاحم وتدافع ليس من السهل سقي جميع تلك الحيوانات، كان الرعاة يسحبون الماء من البئرين في دلاء من الجلد مربوطة بحبال طويلة ويصاحبون عملهم بالغناء الرتيب لضبط إيقاع الهمل من رفع الدلاء وإفراغها من جديد إلى قاع البئرين".[2]

2.4. صورة المرأة:

فرضت الحياة القاسية في الصحراء على المرأة أن تساعد الرجل على القيام بأعباء الحياة اليومية فهي تقوم بأعمال كثيرة داخل الخيمة وخارجها،وتخرج لجلب الماء وهي تحمل الجرة على رأسها،فالكاتب أثناء

[1] المصدر السابق،ص 395.
[2] المصدر نفسه ،ص 307– 308.

تجواله في الجزيرة العربية ركز على دور المرأة داخل الأسرة وخاصة النساء البدويات، فتحدث عن المرأة التي شاهدها وهي تجلب الماء قائلا "أقبلت نساء القرية وهن يحملن جرار نحاسية وفخارية لملئها بالماء من دون أن يسندنها بأيديهن التي امتدت إلى جوانبهن لحفظ توازن الجرار حاملات أطراف أغطية رؤوسهن على جوانبهن، كأنهم طيور ترفرف بأجنحتها".[1]، فالمؤلف منبهر بقوة وصلابة المرأة، كما أنها لم تكن حبيسة البيت، كانت تخرج لجلب الماء، كما كانت تقابل حتى الغرباء وهذا ما يوضحه في قوله:" لم يخجلن أن يمددن أيديهن،ويتناولن حبل الدلو من يدي في صمت، ويسحبن الماء من البئر لسقي جمالي».[2]

وقال أيضا : "تناولت العشاء معهم، الرجال والنساء، جالسين متربعي الساقين على بساط حول قصعة كبيرة مملوءة بالخبز الجاف الهشيم وعليه لبن".[3]

أما عن نساء مصر فقال "كانت ثيابهن سوداء ووجوههن مكشوفة كما هو حال نساء البدو والقرى في تلك المنطقة من الجزيرة، فبدت عيونهن سوداء واسعة. وعلى الرغم من استقرارهن بالواحات من أجيال طويلة إلا أنهن لم يفقدن صفات الأسلاف، نساء بملابس فضفاضة يملان جرار فخارية بالمياه،كان مشهدهن رائعا كن نحيفات طويلات، ذكرني مشهدهن بأشجار طويلة السيقان تتمايل في طراوة إلا أنها شديدة في مواجهة الرياح، كانت للشابات الصغيرات منهن والنساء الخطوات نفسها رشيقة وخفيفة".[4]، كما تحدث على نساء الفلاحين

[1] المصدر السابق، ص 89.
[2] المصدر نفسه، ص 89 – 90.
[3] المصدر نفسه، ص 117.
[4] المصدر نفسه، ص 89 – 90.

داخل الحقول وهن يحملن في الأغلب سلاسل على رؤوسهن ويمشين مشية لدنة هينة، من الخلف تبدو من بلغت الستين كأنها شابة صغيرة السن .[1]

3.4. الأسواق العربية ودورها في النشاط الاقتصادي والتجاري عند العرب:

برع المؤلف في وصف الأسواق العربية وما يحيط بها. وما كان يحدث في ساحاتها وأزقتها ودكاكينها وعلاقة المحبة والأخوة التي كانت سائدة بين التجار. ها هو ينقل لنا صورة من التعاون والتآخي في السوق الرئيسية لدمشق قائلا:" تجولت في تلك الأيام الصيفية في الشوارع التجارية العتيقة الضيقة لدمشق بإحساس رائع من الإثارة ناجم عن رؤية جديدة ،وكلي أعين مفتوحة على جوانب لم ترد إلى وعيي من قبل وعلى رأسها عمق الجوانب الروحية عند أهل دمشق كان الإحساس بالأمن الداخلي لدى الأفراد ظاهرا من خلال تعاملاتهم بعضهم مع بعض ،وفي حرارة التقائهم أو افتراقهم في مشهد صديقين يسيران معا و أيديهما متماسكة كالأطفال ،والعائد لإحساسهم بعمق الصداقة التي تربطهم ،كما تراه في سلوك أصحاب المجال التجارية بعضهم تجاه بعض ،فلا توجد فيما بينهم مشاعر الخوف أو المنافسة أو الحسد أو الضغينة ،قد يترك صاحب متجر متجره في حراسة جاره ومنافسة حين يضطره أي ظرف لترك متجره بعض الوقت رأيت في مرات كثيرة بعض الزبائن يقفون أمام متجر خلا من صاحبه ،وحين يبدو عليهم التردد أن كانوا ينتظرون عودة صاحبه آم ينصرفون إلى متجر أخر، أجد جاره ومنافسه يدخل بلا تردد مكان جاره الغائب

[1] المصدر نفسه، ص 149.

ويبيع للزبائن ما يريدون، ليس من بضائعه ولكن من بضاعة جاره الغائب ويترك تمن ما باعه على الطاولة".[1]

وهذا ما جعله يتساءل هل يوجد هذا التصرف بين التجار في أوربا قائلا " في أي مكان من أوربا يجد المرء مثل تلك المعاملات التجارية الأمينة تجاه المنافسين؟".[2]

أ. سوق المدينة المنورة:

دخلت المدينة المنورة و عبرت ميدان المناخ الواسع الكبير إلى شوارع المدينة ،تحت القوس الضخم للباب المصري ،جلس صرافو العملات يرنون بقطع العملات الفضية والذهبية، دخلت السوق الذي لا يزيد عرضه على أثنى عشر قدما،إلا انه يزدحم بمحلات تموج بالحيوية و تنبض بالحياة.[3] تم راح يصف الأجواء داخل السوق قائلا: "ينادي الباعة معلنين عن بضائعهم بأغان جميلة،أغطية رؤوس،شيلان من الحرير وأردية من صوف كاشمير تجدب عيون المارة،علاقات مدلاة عليها أشغال فضية تتزين بها نساء البدو،أساور،خلاخيل،عقود،أقراط،يضع بائعو العطور صناديق ملأ بالحنة،و أكياسا صغيرة حمراء لتلوين الجفون،زجاجات مختلفة ألوانها من زيوت وعطور، أكواما من التوابل. كما يشير إلىأن البضائع كانت تصل إلى المدينة المنورة من جميع البلدان وعلى الرغم من كثرة الناس وضيق الطريق، لا يوجد تسرع أهوج، لا تدافع ولا تزاحم في المدينة المنورة، لا يركب الزمن أجنحة التعجل. وعلى الرغم من التباين في أجناس البشر وألوانهم وأزيائهم، إلا أنه لا

[1] المصدر السابق ، ص 190.
[2] المصدر نفسه، ص 190.
[3] المصدر نفسه، ص 344.

يثير العجب في شوارع المدية المنورة، ولا يظهر التباين إلا للعين التي تحاول تحليل ما تراه.[1]

ب. سوق جدة:

لاحظ المؤلف أن سوق جدة ليس بتلك الجاذبية والتجانس الذي عهد عليه أسواق الشرق الأخرى حيث قال:"رأيت سوق جدة أول مرة،لم أرى إلا خليطا غير متجانس،وتقليدا بلا روح لما كنت أراه بكميات هائلة، وإتقان فريد في أسواق الشرق الأوسط".[2]، تم راح يصف السوق قائلا "كانت شوارع السوق المغطاة بخيش وأقمشة بالية لحمايتها من الشمس الحارقة، وكانت أشعة الشمس تنفذ من ثقوبها في أعمدة مائلة منيرة، في الشوارع مطاعم مفتوحة يشوي أمامها غلمان سود قطع اللحم المشكوكة في أسياخ على الفحم المشتعل والمقاهي المنتشرة تعج بأدوات ونارجيل نحاسية لامعة، ومقاعد مصنوعة من جريد النخيل، إضافة إلى محلات مملوءة بنفايات البضائع الأوربية".[3]

5. العقلية القبلية عند العرب:

يمكن القول إن تاريخ العقلية القبلية قد بدأ مع بداية وجود الإنسان وتكوينه جماعات قد تجمعهم خصائص مشتركة، إذ بدأ البحث عن أسلوب جديد ليعبر أفراد تلك الجماعة عن أنفسهم سواء، على شكل تجمعات بشرية كالأسر، أو قبائل تنتشر في مناطق كثيرة في الأرض، ولكل قبيلة أسس ومرتكزات خاصة بها، حيث كان هناك شخص مسؤول في تلك القبيلة، يسمى شيخ القبيلة أو زعيمها. والعقلية القبلية في الحقبة التي سبقت الإسلام، تركزت في القبيلة

[1] المصدر نفسه ،ص 344
[2] المصدر السابق ، ص 483.
[3] المصدر نفسه، ص 483.

نفسها باعتبار تلك القبيلة تمثل نظاما سياسيا واجتماعيا في آن واحد، ولا يمكن الفصل بينهما فالعربي تعصب لقبيلته لا لعروبته تعصبا أعمى، حتى أنه استعد لنصرتها ظالمة أو مظلومة، وأخلص لها في السراء والضراء، واستجاب الفرد لشيخ القبيلة دونما تردد أو تفكير، وقد ألزم التعصب القبلي الأفراد على الأخذ بالثأر من طاله الأذى من أفراد قبيلته. بالتالي نجد أن الفرد لا يستطيع الخروج من هيكلة القبيلة وقراراتها وقوانينها،مهما كانت، إيجابية أو سلبية، فالفرد يذوب وينصهر في قبيلته وينفد كل ما يطلبه شيخ القبيلة أو زعيمها، إلا إذا كان يريد إدارة الظهر والتصعلك.[1]

6. العادات والتقاليد عند العرب

اكتشف محمد أسد وهو يجوب الجزيرة العربية أن للعرب الكثير من العادات والتقاليد نذكر منها:

1.6. الطعام والشراب

إن المطبخ العربي شديد البساطة ولا يخرج عن نطاق البيئة التي يعيشون فيها خاصة البدو. فوجبتهم بسيطة جدا تتكون من الخبز وحليب النوق والتمر وأحيانا أخرى الأرز واللحم،ورغم ذلك يتميز العربي بالجود والكرم. لقد نزل المؤلف ضيفا على البدو والعرب وأكل من طعامهم واستقبل بالترحيب والابتسامة، ويقدم الطعام إلى الضيف على بساط مفروش على الأرض حيث يتشارك الضيف معهم هذه الجلسة وحتى أنه يلتزم بعاداتهم في الأكل وهذا ما نقله لنا المؤلف قائلا:" تناولت العشاء معهم، الرجال والنساء جالسين متربعي الساقين

[1] عامر جورج إلياس أبو سعيد، دور العقلية القبلية في تعطيل الوحدة العربية، رسالة ماجستير، جامعة القدس 2010، ص14

على بساط حول قصعة كبيرة مملوءة بالخبز الجاف المهشم وعليه لبن. كان أصحاب الدار يقطعون قطعا من أرغفة خبز طرية رقيقة يدورونها ويغترفون بها مما بالقصعة دون أن تلمس أصابعهم تريد اللبن الذي بالقصعة. أما أنا فقد أعطوني ملعقة إلا أنني رفضتها،وحاولت أن آكل مثلهم بنجاح مما أسعد مضيفي لمحاكاتي لهم في طريقتهم الطيبة في تناول الطعام".[1]ومن آداب الأكل أيضا قوله:" انهمكنا في الأكل جالسين متربعي الساقين يواجه أحدنا الآخر بيننا القصعة،ونتناول الطعام بأصابع اليد اليمنى رحنا نأكل في صمت".[2]، أما في الأعياد والمناسبات فيقدمون الأرز واللحم وكذلك في مائدة الملوك والأمراء، فعندما دعاه الأمير بن مساعد قال له:" ألا تسعدنا بتناول الغذاء معي يا محمد؟"[3] فوصف لنا محمد أسد ما قدم له قائلا:" وجبة غذاء مكونة من قصعة ضخمة من الأرز وعليها خروف كامل مشوي".[4]

كما وصف لنا طريقة إعداد الخبز الذي أعده زيدا قائلا:" انشغل زيد في إعداد الخبز، عجن طحين القمح الخشن بالماء وبعض الملح،وشكله على هيئة أرغفة مستديرة بسمك بوصة، ثم حفر حفرة في الرمال، ملأها بأغصان جافة ثم أشعل فيها النار،وحين خمدت ألسنة اللهب، ولم يتبق إلا الجمرات الملتهبة وضع الأرغفة عليها ... أكلنا الخبز الطازج مع بعض الزبدة والتمر لم أدق قط خبزا أشهى من ذلك الخبز".[5] حسن الضيافة عند العرب لا يكتمل إلا بتقديم القهوة فالقهوة مرتبطة بالإبريق النحاسي. كان زيد مسؤول عن إعداد القهوة خلال الرحلة بطريقة احترافية " انهمك زيد في إعداد القهوة، كان الماء يغلي في

[1] محمد أسد، الطريق إلى مكة، ، ص 177.
[2] المصدر السابق، ص 119.
[3] المصدر ، نفسه ص 244
[4] المصدر نفسه، ص 244.
[5] المصدر نفسه ، ص 280.

إبريق القهوة بمصبه المنحني على شكل قوس، و كان هناك إبريق أصغر جاهز تحت كوع زيد أمسك بيده اليسرى بمقبض ملعقة معدنية ضخمة يبلغ طول مقبضها نحو قدمين ليحمص بها حبات القهوة على النار، و تصنع القهوة في الجزيرة العربية طازجة في كل مرة بمجرد أن يغمق لون حبوب القهوة، يضعها في هاون نحاسي و يطحنها، ثم يصب الماء المغلي من الإبريق الكبير إلى الإبريق الصغير، و يفرغ فيه البن المطحون و يضعه على حافة النار حتى تنضج ببطء، ثم يضيف إليها عددا من حبوب الهيل التي تزيد القهوة مرارة لأنه طبقا للقول الشائع في الجزيرة العربية لابد أن تكون القهوة الجيدة مرة لأنه طبقا للقول الشائع في الجزيرة العربية لا بد أن تكون القهوة الجيدة مرة كالموت لاهبة كالعشق". [1]ويتفنن العربي حتى في طريقة تقديمها "نهض زيد ورفع إبريق القهوة النحاسي بيده، و فنجانان صغيران بلا مقبض يرتطمان ويصدران رنينا يبعث على الضرب بيده اليمنى".[2]

2.6. الزواج

لقد رغب الإسلام في النكاح إكراما للإنسانية،وحفاظا على الجنس البشري، وصونا له من الوقوع في الزنا والفجور».[3]قال الله تعالى: «انْكِحُوا الأيامَى مِنْكُم وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُم وَإِمَائِكُم إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِم الله مِنْ فَضْلِهِ والله وَاسِعٌ عَلِيْم » سورة النور الآية 32.

[1]المصدر السابق، ص 90.
[2]المصدر نفسه، ص 84.
[3]الأمين الحاج محمد احمد، أحكام الزواج في ضوء الكتاب والسنة، ط2،2008 م

والعرب يحبذون الزواج الباكر حتى يلد الأولاد في شباب أبويهم فإذا كبروا كانوا قوة لهم وعونا على أعدائهم وخصومهم .[1]خاصة البدو فكانوا يفضلون الزواج المبكر وهذه الواقعة حدثت للمؤلف شخصيا عندما قام أحد بتزويجه من فتاة قاصر. يحكي أحداث هذه القصة للشيخ غضبان في حضور الملك عبد العزيز كان المؤلف يعيش في المدينة وحيدا بلا زوجة فاقترح عليه بدوي من مطير اسمه فهد أن يتزوج قائلا "لا يصلح للرحل أن يعيش بمفرد،دماؤك ستتجمد في عروقك لا بد أن نتزوج".[2]، فرشح له ابنة أخته"وهي الآن في سن الزواج، وأنا بصفتي خالها. أستطيع أن أطمئنك أنها فائقة الجمال».[3]وفي اليوم التالي أتى مطلق بنفسه لمقابلة محمد أسد وحدثه في هدا الأمر قائلا: «يشرفن يأن تكون زوج ابنتي، ولكن رقية مازالت طفلة – إنها في الحادية عشر من عمرها ...».[4]وعندما سمع فهد بزيارة استشاط غضبا وأكد للمؤلف أنها تبلغ الخامسة عشر من عمرها إلا انه لا يحبذ تزويجها، من غير عربي ولا يريد أن يضايقك برفضه، وراح يصف جمال الفتاة فهي مثل تمر الرومان الذي يطلب من يقطفه [5]وهنا علق غضبان عندما سمع أوصاف الفتاة قائلا "خمسة عشر عاما،جميلة، وعذراء ...وبعد ذلك تقول لي لا شيء، ماذا تريد أكثر من هذا؟، اهتم محمد أسد بالموضوع ووهب فهد عشرات الهدايا الذهبية، وبذل كل جهده لإغراء أبويها أن يزوجاني إياها ".[6]

[1]عبد السلام الترمانيني، الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام(دراسة مقارنة)، عالم المعرفة، ص 114.
[2]محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص 255
[3]المصدر السابق، ص 226.
[4]المصدر نفسه، ص 226.
[5]المصدر نفسه، ص 266.
[6]المصدر نفسه ، ص 226.

وفي يوم الزفاف أذهلني أن أرى وجهها الجميل، وجه بيضاوي قمحي اللون، وعيون واسعة وضفائر شعر طويلة تدلت حتى الوسائد التي كانت تجلس عليها إلا أن وجهها كان بالفعل وجه طفلة، لم يكن عمرها يزيد على أحد عشر عاما دفع الجشع فهدا وأخته إلى تصوير الأمر لي على أنها في سن الزواج بينما كان المسكين مطلق بريئا من أي كذب أو ادعاء.[1]، إن صغر سن العروس لم يكن ميزة كبيرة لي فلم اشعر نحوها إلا بالشفقة فقد كانت ضحية خداع خالها الوضيع».[2]، طلقت الطفلة، وتركتها على حالها الذي أتتني به،فالطمع يسمح بحدوث مثل هذه الأمور فالصفقة كانت مربحة بالنسبة لأسرتها "فقد احتفظوا بالفتاة والمهر الذي دفعته،وكذلك بالهدايا التي أهديتها إليهم ولأقاربهم. أما أنا فلم أنل إلا شائعة انتشرت وذاعت أنني لا املك من الرجولة ما يكفي".[3]وأقنعوه أن هناك من قام له بعمل سحر يعيقه عن ممارسة رجولته.

3.6. الزغاريد:

تزغرد المرأة العربية من أعماق حلقها في المناسبات السعيدة. مثلا الزواج،وولادة مولود،وختان، ومناسبات دينية، منها الحج بالطبع.في عصور الحروب المبكرة، كانت بنات رؤساء القبائل يركبن مع الرجال،ويخرجن إلى الحروب حتى يحثثن الرجال على الأقدام والشجاعة، فكانت الزغاريد تسمع في ميدان القتال».[4]

[1] المصدر السابق،ص 227
[2] المصدر نفسه، ص 228.
[3] المصدر نفسه ص 229.
[4] المصدر نفسه، ص 485.

4.6. تقاليد القبائل الساعية للثأر:

اعتادت القبائل البدوية قتال بعضها بعضا لأسباب بسيطة. كانت ثارات الدم تستمر على مدى أجيال، ويورث الثأر المستحق من الأب لابنه على مدى قرون، وتؤدي إلى مزيد من إراقة الدماء في سلسلة ثأر متبادل لا تنتهي وما يتمخض عنه من كراهية مريرة دائمة، مع أن السبب الأصلي الذي بدأ القتال لأجله يكون قد نسي. لم تكن هناك إلا وسيلة واحدة لوضع حد لتلك الشقاقات: وهي تزويج شاب من القبيلة التي لا ثأر لها من فتاة عذراء من القبيلة التي عليها الدم. كانت بعض القبائل قد أنهكت من سلسلة الثأر المتبادل المستمر من أجيال، واستنزفت قوى كل من القبيلتين المتحاربتين، في مثل هذه الحالة كان على طرف ثالث أن يرتب هذا الزواج حتى تنتهي سلسلة الانتقام المتبادل.[1]، أما الأمير عبد الله فقد قام "بتكوين مجالس تعويض ثأر الدم مكونة من رجال أجلاء محل ثقة الجميع يدورون في أنحاء البلاد لترتيب خطوبة العروس الرمزي، والزواج بين القبائل المتحاربة"[2] فمن خلال هذه الجهود المبذولة قلت مسألة الثأر بين القبائل.

7. الجانب الفكري والثقافي عند العرب

1.7. الأساطير:

تعتبر الأساطير قديمها وحديثها مصدرا خصبا من مصادر دراسة الشعوب والمجتمعات وتحليل رؤيتها للكون والمجتمع والإنسان ومعرفة مواقفها من القضايا الجوهرية التي شغلتها أو ما تزال تشغلها على اختلاف الأقطار

[1] المصدر السابق، ص 173.
[2] المصدر نفسه، ص 174.

والأعصر، وقد بدأت الأساطير بما هي ظواهر ثقافية في أي مجتمع من المجتمعات، تتبوأ المنزلة اللائقة بها، وقد ولى ذلك العهد الذي كانوا ينظرون فيه إليها على أنها أوهام وأباطيل .[1]،" و لئن اتفق جل الدارسين لأساطير مختلف المجالات الحضارية علة أن الأساطير من نتاج الخيال البشري الخلاق، فإنهم يؤكدون أنها ليست مجرد وهم و أن لها علاقة بالواقع أو الحقيقة، بل إنها في نظر مبدعيها من الشعوب و الأقوام عين الحقيقة، و لذلك فإن أساطير الأولين هي دوما أساطير الآخرين و قلما تجد شعبا من الشعوب يقر بأن أساطيره يمكن أن تدرج في باب الأساطير، و لذلك فإنها قد تندرج ضمن أبواب شتى من كتب العقائد و في الكتب العلمية أو شبه العلمية من جغرافية و تاريخية وما إليها مما يتصل بوعي الإنسان و إدراكه لمنزلته في الكون و المجتمع."[2]

وبناء على ما ذكرناه يمكن للمرء أن يقدر مدى ما يمكن أن توفره دراسة أساطير العرب عن الجاهلية من فوائد علمية عن صميم حياة العرب قبل الإسلام بل عن حياة الشعوب العربية في مراحل من تطورها لاحقة، لأن أشكال الفكر الأسطوري ليست قضية تهم إنسان المجتمعات العتيقة فقط وإنما هي تهمنا نحن أيضا".[3]، ومما نلاحظه أن المؤلف اهتم بذكر الأساطير العربية في كتابه سنحاول أن نتطرق إليها فيما يلي:

النجم الأبرق (أسطورة الزهرة):

[1] محمد عجينة،موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، دار الفارابي،بيروت،لبنان، ط1،1994، ص 9.
[2] المرجع السابق، ص 9.
[3] المرجع نفسه،ص 10.

رأى المؤلف في زاوية مائلة من صفحة السماء نجمة الصباح التي يسميها «الزهرة»أو النجم الأبرق، إن سألتهم عنها فسيقولون لك إن النجم الأبرق أو الزهرة كان في سالف الزمان امرأة.[1]. "يقولون إنه في سالف الزمان كان هناك ملاكان، هما هاروت وماروت، نسيا فضيلة التواضع التي ينبغي ألا ينساها الملائكة وتباهيا بنقائهما الذي لا يمكن تلويثه، كانا يقولان: نحن مخلوقات من النور، فوق الخطايا والذنوب والرغبات. بعكس أبناء البشر ضعفاء الإرادة أبناء الأرحام المظلمة،وهذا لم يرض الله عز وجل فقال لهما اهبطا إلى الأرض واختبر نقاء وقوة إرادتكما فيها .هبط الملكان بين أبناء البشر في صورة بشرية وفي أول ليلة لهما على الأرض مرا بامرأة ذات جمال يخلب الألباب، وهنا نظر إليها بعيون البشر وقال كل منهما لها أشتهيك فاستجيبي إلا أن المرأة المتألقة قالت لهما: هناك رجل أنتمي إليه، إن أردتماني فحرراني منه أولا.فذبحا الرجل، أتياها وأشبعا رغبتهما وجوعهما... بدأ الملكان الأرضيان يعيان أن أول ليلة لهما على الأرض اقترفا كبيرتين،القتل والزنا وأن افتخارهما بنقائهما لم يكن له معنى ما داما خاليين من الرغبات".[2]، فعاقبهما الله في الحياة الدنيا وعلقا في سلاسل ما بين السماء والأرضوحول الله المرأة إلى نجم في السماء ليراها البشر ويتذكروا القصة ويتذكروا مصير هاروت وماروت.

2.7. الموسيقى والغناء عند العرب:

يمتاز البدو بالغناء أثناء سفرهم،وهذا ما تفرضه عليه البيئة الصحراوية، فالبدو يستعملون الغناء لكسر رتابة السفر وهذا ما أظهره المؤلف في قوله:"رجلان على ناقتين يتأرجحان في رتابة لا يتغير إيقاعها على وقع الخطأ

[1] محمد أسد، الطريق إلى مكة،ص 215.
[2] المصدر السابق،ص 215.

الذي يجلب النعاس، تجعلك تنسى في أي يوم أنت وتنسى الشمس المحرقة،والريح الملتهبة،والطريق الطويل الذي لا تبدو له نهاية[1]وكوسيلة تمكنهم من التحكم في سير الجمال في قوله :" كان البدو يستعينون بالأغنية البدوية لحث الجمال على السير".[2]، وهي الأغاني التي كانت تصل إلى مسامعه وهو يجوب الصحراء مع دليله زيد "وصلت إلى مسامعنا كلمات أغنية بدوية راح واحد منهم يشدو بها لحث جمالهم على السير".[3] "فهذه الأغاني تدفع بالجمال على السير في خط واحد وبسرعة فهي واحدة من أغاني مسافري الصحراء على ظهور الجمال تدفع الجمال للمحافظة على خطاها وتدفعها إلى السير بسرعة، أغان يغنيها رجال اعتادوا رحابة الصحراء،واتساعها بلا حدود".[4]، كما أن زيد دليل محمد أسد كان دائم الغناء وهو يسير وسط الصحراء يغني اللحن نفسه على الدوام وهذا ما يؤكد أن البدوي كان يستعمل هذا اللحن ليتحكم في سير الجمال في تلك الصحراء الشاسعة كما تبدوا أغاني الصحراء ذات نغمة واحدة وبمستوى صوتي رتيب، طويل الإيقاع قوي وأجش يأتي من الحلق، تبدو وكأنها تنفس الصحراء الصاعد من صوت البشر ويعتبر الغناء وراثة عند أهل البدو فزيد يغني كما كان والده يغني وكما غنى كل رجال قبيلته والقبائل التي سبقتهم .[5]، فالأغاني تعبر عن مشاعر الناس وأحاسيسهم فهي «رموز صوتية لمخزون معنوي لملايين البشر، تنقل عواطفهم المكثفة، ولدت الأغاني منذ أزمنة قديمة في البيئة الصحراوية على إيقاع الريح والعواطف، وهجرات القبائل وأحاسيس

[1] محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها،ص 43.
[2] محمد أسد، الطريق إلى مكة، تر. د رفعت السيد علي،ص60.
[3] المصدر السابق ، ص 60.
[4] المصدر نفسه ،ص 161.
[5] المصدر نفسه، ص 163.

الأفاق الواسعة والمسافات الكبيرة، حافظت تلك الأغاني على أصالتها دون أن تتغير على مدى العصور".[1]

الأغاني موجودة في كل مكان عربي،وهي تعتمد في المدن على الآلات الموسيقية بخلاف البدوي الذي يعتمد على صوته أثناء الغناء، ففي مصر مثلا يصف الكاتب حي من أحياء القاهرة الحركة في فترة ما بعد الظهر منقطعة ويسود المكان صمت وسكون أما عندما يحل المساء يستيقظ الحي وتلعب الموسيقى دورها وتدب فيه الحياة يصدح بموسيقى العود العربي تصاحبه الطبول والدفوف وضحكات النساء .[2]

كانت الموسيقى تصاحب جلسات السمر والاحتفالات عند العرب فالمؤلف ينقل لنا جانب من احتفال أحد الرجال الأثرياء في دمشق بمولد ابن له قائلا "ودائما ما يتخلل هذه الاحتفالات رقص الفتيات حيث دخلت فتاة راقصة من أحد الأبواب كانت في مقتبل شبابها ولا تتجاوز العشرين من عمرها ذات جمال طاغ ترتدي سروالا فضفاضا من الحرير وشفاف وله ثانيات، وزوج من الأخفاف الذهبية بقدميها، وصدرية موشاه بما يشبه اللؤلؤ، ولا تستر جسمها، كانت تتحرك بإحساس من العظمة يحسه من اعتاد أن يكون موضع إعجاب، رقصت بمصاحبة ضابط إيقاع دخل في إثرها رقصة تقليدية تموج بالإيماءات البدنية الموحية وهو رقص يلقى إقبالا في الشرق رقص يثير كوامن الرغبات. ثم بعد انصرافها احتل مكانها على البساط في الليوان أربعة موسيقيين، بعضهم من أفضل العازفين في سوريا، كما يحمل واحد منهم عودا طويل العنق، وآخر كان يحمل طبلة، والثالث يحمل آلة القانون الوترية وكان الرابع يحمل طبلة

[1] المصدر السابق،ص 163.
[2] المصدر نفسه، ص 168.

نحاسية مصرية وبعد ضبط الآلات بدأ العزف في إيقاع متناغم جر صاحب القانون أصابعه على الأوتار أما حامل الطبلة النحاسية فقد كان ينقر عليها بأصابعه ويتوقف برهة ثم يعاود النقر، وقبل أن تعي تماما ما يحدث، يبدأ اللحن الجماعي يربط بين العازفين الأربعة معا في لحن متناغم"[1] كما عبر عن أحاسيسه وهو يستمع لهذا التناغم الموسيقي فقال " أحسست أنني وقعت في هوى تلك الموسيقى شدتني النغمات التي كانت أحادية، وإيقاعها يستدعي إلى ذهني رتابة وقوع الظواهر الأبدية وتكرارها في هذا الوجود وتدق أبواب المشاعر الدفينة وتستل منها خطوة بعد خطوة كل ما كان يموج داخلها دون أن نعيه»فالموسيقى العربية تبدو كأنها تتدفق من مستوى ما في اللاوعي، من توثر واحد إلا أنه ليس إلا توثرا يمثل مشاعر شخصية لدى كل مستمع على حدة".[2]

فهو يبين أن التأثر الموسيقي يختلف من شخص إلى آخر والتذوق الموسيقي لم يقتصر على البدو وسكان المدن و القرى بل حتى الملوك فالملك عبد العزيز لآل سعود كان يظهر ميوله الموسيقية في قصائده التي يكتبها وفي وصفه الحي لتجاربه وخبراته وأغانيه عن الحب والحرب التي داع صيتها في نجد،وغناها الرجال على ظهور جمالهم خلال ترحالهم في الصحراء.

3.7. الفن المعماري عند العرب:

تطرق الكاتب إلى الجانب المعماري الذي اهتم به العرب وراح يصف ما شاهده من اللوحات الفنية والجمالية للبيوت في أسلوب زخرفي كأنك تسافر وتتنقل معه عبر أرجاء الجزيرة العربية. فالبيت كما عرفه غاستون باشلار(Gaston Bachelard)في كتابه (جماليات المكان)" هو ركننا في العالم

[1] المصدر نفسه ،ص 196 ــ 197.
[2] المصدر نفسه ، ص 198

إنه كما قيل مرارا، كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما في الكلمة من معنى،وإذا طالعنا بألفة فسيبدو أبأس بيت جميلا".[1]وهو مرتبط بروح الإنسان وجسده"البيت جسد وروح،وهو عالم الإنسان الأول".[2]وهذا ما دفع المؤلف إلى إظهار وإبراز هذا الجمال للقارئ ووصف بطريقة مذهلة تشد عقل القارئ المتعطش للمعرفة.

أ- البيت العربي:

مشيد من الحجر، ينهض على حافة قديمة بالقرب من باب يافا، توحي غرفه الواسعة بأسقفها العالية أنها مترعة بذكريات حياة النبلاء الحي الذي يسري إليها من المحلات التجارية المجاورة. مشاهد وأصوات وروائح لم أعايشها من قبل، كنت أرى مشارف المدينة القديمة من شرفة السطح،وأرى شبكة شوارعها المتعرجة وحاراتها المنحوتة في الصحراء .[3]

ب-البيت الدمشقي:

أما البيوت في دمشق، فهي تأخذ طابعا أكثر جمالا وثراء من الناحية المعمارية، فقد أتيح للمؤلف فرصة زيارة أحد البيوت عندما دعاه أحد أصدقائه لمصاحبته إلى حضور حفل أحد الأثرياء فوصف لنا البيت قائلا:" سرنا عبر شوارع متعرجة في المدينة القديمة، كانت حارات ضيقة حتى إن الشرفات ذات الطراز العربي توشك تتلامس ... كان الباب في منتصف سور من الطين المكسو بالجص ... دق بقبضته الباب المغلق، فتح الباب و أصدر صريرا وجدنا أمامنا رجلا طاعنا في السن يرحب بنا بفم خلا من الأسنان(أهلا وسهلا) مضينا عبر ردهة قصيرة دارت بنا مرتين بزاوية قائمة أفضت بنا في

[1]غاستون باشلار، جماليات المكان، ص 36.
[2]المرجع نفسه، ص 38.
[3]محمد أسد، الطريق إلى مكة، ،ص 146.

النهاية إلى الفناء ذلك المنزل الذي لا يشي مظهره الخارجي بأكثر من سور طيني مدهون بالجص . كان الفناء واسعا ومكشوفا، أرضه مصممة وكأنها رقعة شطرنج هائلة الاتساع بمربعات من الرخام الأبيض والأسود.وفي المنطقة المنخفضة كان هناك حوض نافورة من الحجر ثماني الأضلاع ...بين رخام الأرضية نمت أشجار الليمون والدفلى، تنشر أريج أزهارها عبر الفناء بأجمعه وإلى داخل المنزل أما جدران المنزل التي تحيط بالفناء فقد غطتها من الأرض حتى قمتها نقوش من الرخام دقيقة الصنعة، رقيقة الجمال في أشكال هندسية عربية متداخلة لا يقطعها إلا نوافذ الغرف التي تطل على الفناء ويؤطرها رخام عريض محزم بأشكال بديعة الصنعة".[1]

- **المدن:**

وصف محمد أسد خلال رحلته كل مظاهر العمارة في المدن العربية بأزقتها وقلاعها وأبراجها ورسم معالمها،ومن بين هذه المدن نذكر:

أ- مدينة حلب:

بها مبان حجرية قديمة كأنها نبتت من الأرض، ذات ممرات مظلمة ونوافذ منحوتة، وعلى الرغم من أنها كانت خليط من البدو العرب والمستشرقين مع مسحة تركية لقربها منها، فقد كانت متألقة وهادئة،وصافية،والمنازل الحجرية بشرفتها الخشبية تبدو حية حتى في صمتها. فهي تعبر عن طابعها العربي النابض بالحياة .[2]

[1] المصدر السابق،ص 194.
[2] المصدر نفسه، ص 281 ــ 282.

ب-مدينة القدس:

أما عن القدس فيقول "القدس بالنسبة إلى عالما جديدا تماما فعبق التاريخ ينضح من كل زاوية وحجر بالمدينة العتيقة. الشوارع التي شهدت نبوءات أسعيا حجارة الشوارع التي سار عليها المسيح، الجدران التي كانت عتيقة أيضا حين تردد منها صدى صوت خطى فرسان الإمبراطورية الرومانية التي غزت المدينة، الأقواس الحجرية على الطرقات التي تحمل على صدرها نقوشا ونصوصا إسلامية من عصر صلاح الدين ... بيوت وشوارع وحارات تنبض بنبض خاص".[1] أما عن القلاع فيقول «أمام منزل دوربان، و على بعد أربعين ياردة نهضت حوائط قلعة داود ذات الجدران المنحدرة التي ظهر عليها أثار الزمن، كونت في الماضي جانبا من استحكامات المدينة مع أسوارها القديمة، ربما شيدت القلعة على الأساسيات التي أرسلها هيرو الروماني و يعلوها برج مراقبة رفيع يشبه المئذنة على الرغم أنه لا علاقة لها بالملك داود فإن اليهود اعتادوا إطلاق اسمه عليها، و يدعون أن قصره الملكي كان بهذا الوضع من جبل الزيتون. [2]

ج- مدينة حائل:

حائل مدينة عربية خالصة، دعنا نقل أكثر من بغداد، بل حتى من المدينة المنورة، فهي لا تحتوي على أي عنصر من شعوب غير عربية، نقية في عذرية اللبن الطازج ونقائه. لا تلمح زيا أجنبيا في أسواقها.ولا تجد في المتاجر إلا الأزياء والعباءات العربية،والكوفية والعقال، شوارعها أكثر نظافة من

[1] المصدر السابق، ص 147.
[2] المصدر نفسه،ص147ــ148

شوارع أي مدينة عربية، بل حتى أنظف من نجد المشهورة بنظافتها الفائقة عن مدن الشرق.

البيوت مشيدة من قوالب من الطين المجفف،ولا تجد فيها حائطا مهدما باستثناء ركام أسوار المدينة التي تشهد على آثار الحرب الأخيرة بين الملك عبد العزيز وابن رشيد والتي انتهت بضم الملك عبد العزيز حائل سنة 1921.[1]

تحدث محمد أسد في رحلته عن كل الخصال الحميدة التي اتصف بها العربي وها هو ينقل لنا حال المسلمين ومدى تمسكهم بالدين الإسلامي

المبحث الثالث :صورة المسلمين

نقل لنا محمدأسد صورة المسلمين في البلدان العربية و تحدث عن الجانب الدين والروحي الذي يسود تلك المناطق.

1. الحياة الاجتماعية عند المسلمين:

1.1 تعاليم الإسلام في الزواج وشؤون الأسرة:

يلتقي المؤلف بأحد العلماء المسلمين ويناقش معه مسألة تعدد الزوجات فيقول:" إن لعقلك عليك حق كما أن لبدنك عليك حق تزوج فرد المؤلف ولكنك يا شيخ تعرف أني تزوجت من عامين، ورزقت بولد هذا العام. هز الرجل العجوز كتفيه وقال: إذا كان قلب الرجل مستريحا مع زوجته، فإنه يقضي في بيته أغلب وقته،وأنت لا تمكث في البيت، وعدا ذلك لن يضر المرء أن يتخذ لنفسه زوجة ثانية كان هو ذاته له ثلاث زوجات وقيل لي إن أصغرهن التي

[1] المصدر نفسه،ص 217.

تزوجها من شهرين تبلغ السادسة عشر مع أنه تجاوز السبعين"[1] فرد عليه المؤلف قائلا:" كما تقول ربما لا يضر المرء أن يتخذ لنفسه زوجة ثانية، ولكن ماذا عن الأولى؟ ألن يضرها ذلك؟ "فأجابه قائلا:" يا بني، لو كانت المرأة تستحوذ على قلب زوجها كله، لن يفكر ولن يحتاج إلى الزواج بأخرى. أما إن لم يكن جماع قلبه معها. هل يفيدها أن تحتفظ بنصف قلبه ونصف مشاعره".[2] كما ذكر أن الإسلام يوصي بالتأكيد بالزواج بواحدة إلا أنه يسمح بالزواج بأربع زوجات في أحوال استثنائية.

أ- الطلاق عند المسلمين:

أباحث الشريعة الإسلامية الطلاق وهذا لإبعاد الضرر عن الطرفين "فالزواج في الإسلام ليس مقدسا، بل هو تعاقد مدني،وحق الطلاق متاح دائما لطرفي العلاقة،ومشاعر العار التي تصاحب الطلاق بدرجة أو بأخرى في المجتمعات غير الإسلامية غير موجودة في الإسلام مع استثناء المسلمين الهنود، الذين تأثروا في هذا الشأن على مدى قرون بمجتمع هندوسي يحرم الطلاق تحريما مطلقا".[3]

ب-الزواج بالمرأة الكتابية:

طرحت هذه المسألة في حديث جرى بين رجل أعمال يوناني وعمدة من مصر حيث أبدى المؤلف إعجابه بمبادئ العدل في الإسلام إلا أن الرجل اليوناني قال:" إنه ليس عادلا كما تظن يا صديقي العزيز"[4]ثم وجه الكلام إلى العمدة قائلا:" أنتم أيها المسلمون تدعون أن دينكم دين عدالة فهل يمكنك أن

---

[1] المصدر السابق،ص 384.
[2] المصدر نفسه، ص 385.
[3] .المصدر نفسه،ص 386 ــ 387.
[4] المصدر نفسه، ص 265.

تشرح لي كيف يسمح الإسلام للرجال بالزواج من فتاة مسيحية أو يهودية؟ هل يسمى هذا عدلا."[1]وهنا رد عليه العمدة رغم أنه أمي لا يعرف القراءة والكتابة بالجواب المقنع، وراح يوضح له السبب قائلا:" إذا تزوجت فتاة مسلمة من مسيحي أو يهودي فمن المؤكد أنها ستواجه ما يسيء إلى إيمانها وعقيدتها ... وربما من أبنائها أنفسهم ألا يؤمن الأبناء عادة بما يؤمن به أباءهم؟ هل تعتقد أنه من العدل أن نعرضها إلى ذلك الألم وتلك المهانة؟ . وهنا رأى المؤلف أن ذلك العمدة الأمي بتلك العقلانية التي اشتهر بها شعبه قد مس جوهر تلك المشكلة المهمة فلم يجد اليوناني ما يرد به على هذا السؤال إلا بهزة ضيق من كتفيه" .[2]

2.1. النشاط الاقتصادي والتجاري عند المسلمين:

يرى المؤلف أن الحياة في بلاد الشرق مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأسواق من خلال زيارته للعديد من البلدان الإسلامية لاحظ أهمية الأسواق ودورها في النشاط الاقتصادي والتجاري وفي مقدمة هذه البلدان إيران حيث جاد بالوصف الدقيق لأسواقها.

انبهر المؤلف خلال زيارته للعديد من البلدان الإسلامية وخاصة إيران

بالأسواق فهي تلعب دورا كبيرا في النشاط الاقتصادي والتجاري حيث وصفها وصفا دقيقا ومعبرا قائلا:" كان البازار ــ السوق ــ يؤدي دائما دورا كبيرا في الحياة السياسية للدول الشرقية،ويصدق ذلك على وجه الخصوص على بازار طهران فهو قلب إيران النابض " [3] ثم راح يصف السلعة والمحلات المعروضة فيه حيث يقول البازار في طهران شبكة ضخمة من القاعات والصالات

[1] المصدر السابق، ص 265.
[2] المصدر نفسه، ص 265
[3] المصدر نفسه، ص**356**

والممرات المغطاة والمسقوفة بأقواس مدببة. على الطريق الرئيس،وبعد بضعة متاجر صغيرة معتمة ومملوءة بسلع رخيصة، توجد باحات مسقوفة ملأ بأغلى أنواع الحرير الأوربي والآسيوي، ثم محلات حياكة الملابس وواجهات العرض الزجاجية الملأ بالحلي الفضية الدقيقة الصنع، ثم تتناوب محلات الأقمشة الملونة من بخاري والهند مع محلات السجادة الفارسية. بسط عليها رسومات حملات الصيد وأشكال لفرسان على صهوات جيادهم،وأسود وفهود،وببغاوات وظباء ووعول برية، عقود من الزجاج واللؤلؤ وقداحات وآلات حياكة، جانب معتم للمظلات يليه جانب آخر لملابس من جلود الأغنام المدبوغة والمزخرفة من خراسان معروضة في تلك القاعات الهائلة الطول،والتي تعتمد على عرض كميات هائلة أكثر من اعتمادها على حسن التنسيق والعرض».[1]، أما عن بازار النحاسين فيقول:" يحولون الألواح المعدنية التي لا شكل لها ولا جمال فيها إلى آنية أحواض وصوان وكؤوس... كل صانع يستجيب لإيقاع الصناع من حوله. حتى إنه لا يبدو أن هناك نغما نشازا على الأذن: مئات العاملين يطرقون مصنوعات متباينة في مختلف المحلات".[2]

2. العادات والتقاليد عند المسلمين:

تعددت العادات و التقاليد في الوطن العربي فمنها ما ارتبط بالجانب الديني و منها ما ارتبط بالجانب الإجتماعي .

1.2. استقبال شهر رمضان:

شهر رمضان له فضائل وخصائص تميزه عن بقية الشهور ، ففي هذا الشهر يحتفون بذكرى مرت عليها ثلاثة عشر قرنا، عندما نزل أول وحي على

[1] المصدر السابق،ص 356ـ357
[2] المصدر نفسه ،ص 358

محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم. وفي هذا الشهر يصوم المسلمون صياما كليا عن الطعام والشراب. رجالا ونساء باستثناء المرضى لا يأكلون ولا يشربون من لحظة انبلاج ضوء الفجر حتى غروب الشمس مدة ثلاثين يوما تقريبا.كما صور لنا المؤلف أحوال الناس خلال شهر رمضان في شوارع القاهرة حيث يمضي الناس بوميض خاص في عيونهم، كما لو كانوا قد رفعوا إلى مرتبة سامية.[1] أما عن أهداف صيام هذا الشهر فيقول "علمت أن هناك هدفين من شهر رمضان الأول هو الامتناع عن الطعام والشراب حتى يشعر كل امرئ بما يشعر به الفقير والجائع ويغرس هذا المسؤولية الاجتماعية في الوعي البشري فرضا دينيا والهدف الثاني هو التعود على ضبط الذات والسيطرة على النفس،وهو أحد أوجه الأخلاق الفردية، وتؤكد عليها كل تعاليم الإسلام. من هدين الهدفين أخوة البشر وضبط النفس والسيطرة على الشهوات. بدأت أميز الخطوط الأساسية في منهج الإسلام".[2]

2.2. تعاطي الأفيون و الحشيش (صورة سلبية)

انتشرت هذه الظاهرة بين الناس معظمهم من فناني النسخ، و العمال، وسائقي الشاحنات تجدهم في المقهى " مجتمعين حول قصعة معدنية ملأ بالجمرات الملتهبة و نرجيلتين طويلتين من الخزف،كانت رائحة الحشيش تعبق المكان يدخنون في صمت، كل في دوره يجدب أنفاسا عميقة، ثم يمرر القصبة إلى من يليه، ثم أدركت ما لم أدركه من قبل، أن كثيرين جدا، من يدخنون الحشيش، بعضهم في العلن، و آخرون خفية، أصحاب المتاجر داخل خاناتهم الصغيرة، و المتسكعون تحت أقواس بوابات الكبيرة، طارقو النحاس داخل

[1] المصدر نفسه ،ص266

[2] ينظر محمد أسد، الطريق إلى مكة، ، ص267.

محلاتهم في أوقات راحتهم، يدخنون الحشيش تعلو وجوههم ملامح الانسحاب من الواقع و نظراتهم تحملق في فراغ لا تعرف مداه [1]

حتى الأطفال في صغرهم أعطوهم شراب بدور الأفيون عندما يبكون[2]

3. الجانب الروحي عند المسلمين:

إن ما يميز الجانب الروحي عند المسلمين الصلاة و الحج وهذا ماشد انتباه محمد أسد حيث أدرك أن هذا التلاحم بينهم مصدره الإسلام.

1.3. الصلاة عند المسلمين:

إن أعظم الفرائض التي فرضها الله تعالى على عباده الصلاة. فقد جاء ذكرها في القرآن الكريم فيما يزيد عن مائة موضع ما بين أمر بها وثناء على مقيميها والتعنيف لتاركها.وهذا يدل على عظم أهميتها وقوة منزلتها في دين الله تعالى .[3]، وهذا ما لمسه المؤلف عندما شاهد الحركات التي كان يقوم بها المصلين أثناء الصلاة فقال"أصابتني الحيرة حين شاهدت صلاة تتضمن حركات آلية للبدن فسألت الحاج ذات يوم هل تعتقد حقا أن الله ينتظر منك أن تظهر له إيمانك الركوع والسجود؟وهنا أجابه الشيخ أننا نتوجه إلى الكعبة وهي أول بيت الله في الأرض فبهذه الطريقة نشعر أننا جسد واحد،وتتلو بعض آيات القرآن الكريم كلام الله فيما أن الله خلقنا جسد وروح فيجب علينا أن نصلي بالجسد والروح".[4]، كما قام محمد أسد بهذه المهمة مع أصدقائه عندما حان وقت صلاة العشاء فقال:" انتظمنا لأداء الصلاة الأخيرة لذلك اليوم، اتجهنا ثلاثتنا نحو مكة

---

[1] المصدر السابق، ص 373

[2] المصدر نفسه، ص373

[3] عبد الله سراج الدين، الصلاة في الإسلام،2011، ص 10.

[4] محمد أسد، الطريق إلى مكة، ، ص 145.

المكرمة، وقف زيد ومنصور جنبا إلى جنب وتقدمت لأؤمهم فقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن صلاة اثنين أو أكثر هي صلاة جماعة. رفعت كفي وبدأت: الله أكبر ثم تلوت سورة الفاتحة من القرآن الكريم ثم تبعتها بسورة الإخلاص حتى أتممنا الصلاة كما أنه بإمكان كل مسلم بالغ وراشد القيام بأي وظيفة دينية، كأن يؤم المصلين في صلاة الجماعة ".[1]

2.3. الآذان

يؤكد محمد أسد على رمزية ووحدة الآذان في الشعوب الإسلامية قائلا:" كان آذان المؤذنين الذي كنت أسمعه في الأيام التي قضيتها في القاهرة، هو ذاته الآذان الذي كنت أستمع إليه في القدس، و قدر لي أن أسمعه بعد ذلك في البلاد الإسلامية كلها، على الرغم من اختلاف اللغات و اللهجات و أصوات الآذان، جعلني توحد الآذان أدرك في تلك الأيام عمق التوحد الإسلامي بين الشعوب الإسلامية كلها ... تميز ذلك التوحد عقيدة واحدة و توحد أساليب التفكير،و التمييز بين الصواب و الخطأ و الحلال و الحرام، و إدراك واحد لما يجب أن يكون عليه صلاح الحياة".[2]كما عبر عن شعوره عند سماع الآذان قائلا :"عند الآذان يخفق قلبي ويقفز إلى حلقي".[3]

3.3. الحج ودلالاته:

الكعبة موضع شوق ملايين الناس وتوقهم على مدى قرون طويلة ضحو تضحيات عظمى في سبيل الوصول إليها ، في الطريق إليها مات كثيرون

[1] المصدر السابق،ص 299.
[2] المصدر نفسه، ص 170.
[3] المصدر نفسه، ص 389.

ووصل إليها كثيرون ...كان هذا المكعب غايتهم وأسمى أهدافهم وكان الوصول إليه هو كامل التحقق .[1]

ثمة وصف دقيق يذكره محمد أسد للحجيج من مصر ومغاربة من شمال إفريقيا وهم في المركب الذي يحملهم عبر البحر الأحمر إلى شواطئ جدة، فعندما وصل المركب بحجيجه إلى ميناء رابغ شمال جدة تغير المشهد فجأة إذ لم يبق على الأجسام غير لباس الإحرام».[2]، " دوت صافرة السفينة في اليوم التالي معلنة عن وصولها إلى ميناء رابغ الصغير شمال مدينة جدة، وهو ميقات حجاج شمال افريقية الذي يحرمون منه إذ ينبغي للحجاج القادمين من الشمال أن يبدلوا بثيابهم لباس الإحرام، وهو مكون من جزأين غير مخيطين من نسيج أبيض قطني أو صوفي، أحدهما يلف حول الخصر حتى ما يلي إلى الركبتين والأخر يلف على الكتف والصدر ويبقى الرأس عاريا حتى لا تكون هناك مشاعر اغتراب أو اختلاف بين المسلمين القادمين من جميع أنحاء العالم".[3]

ويقول محمد أسد إن حجتي الأولى. وقد حج بعدها أربع مرات، تركت في نفسي تأثيرا أعمق من كل ما خبر من رحلات. فقد كان يعرف أنه غادر الغرب ليعيش بين المسلمين، ولكنه ما عرف أنه مع تلك الحجة خلف وراءه ماضيه كله.[4]، "ومن شعائر الحج أن تطوف سبع مرات حول الكعبة، لا لتظهر

---

[1] المصدر السابق، ص489

[2] ينظر محمد شفيق، من عالم الغرب إلى أخوة المسلمين ومن النظرة العلمانية إلى الإسلام، قراءة في كتاب الطريق إلى مكة، ص203

[3] محمد أسد، الطريق إلى مكة، ،ص 480.

[4] محمد شفيق، من عالم الغرب إلى أخوة الإسلام، ص 204.

تبجيل للكعبة ولكن لتذكير المسلمين بأساسيات الحياة فالكعبة رمز لوحدانية الله، وطواف المسلمين حولها رمز لأنشطة الحياة".[1]

[1] محمد أسد، الطريق إلى مكة، ،ص492.

الفصل الثاني:
صورة الأجنبي الغربي في رحلة محمد أسد الطريق إلى مكة

1. صورة الغرب

نقل لنا المؤلف صورة عن عالم الغرب ظلت تزداد في ذهنه رسوخا وثبات، فعبر عن هذه الصورة فيما يلي : " حقا إن الإنسان الغربي قد أسلم نفسه لعبادة الدجال لقد فقد منذ وقت طويل براءته، و فقد كل تماسك داخلي مع الطبيعة، لقد أصبحت الحياة في نظره لغزا، إنه مرتاب شكوك و لذا فهو منفصل عن أخيه، ينفرد بنفسه و لكي لا يهلك في وحدته هذه فإن عليه أن يسيطر على الحياة بالوسائل الخارجية، و حقيقة كونه على قيد الحياة لم تعد وحدها قادرة على أن تشعره بالأمن الداخلي، و لذا فإن عليه أن يكافح دائما وبألم في سبيل هذا الأمن من لحظة إلى أخرى، و بسبب أنه فقد كل توجيه ديني وقرر الاستغناء عنه فإن عليه أن يخترع لنفسه باستمرار حلفاء ميكانيكيين، والتمكن من قوانينها ووسائلها، إنه يخترع كل يوم آلات جديدة ويعطى كلا منها بعض روحه وهي تفعل ذلك حقا ولكنها في الوقت نفسه تخلق له حاجات جديدة، ومخاوف جديدة وظمأ لا يروى إلى حلفاء جدد آخرين أكثر اصطناعية، وتضيع روحه في ضوضاء الآلة الخانقة التي تزداد مع الأيام قوة وغرابة، وتفقد الآلة عرضها الأصلي وتتطور إلى صنم بذاته، صنم من الفولاذ، ويبدو أن كهنة هذا المعبود والمبشرين به غير مدركين أن سرعة التقدم التقني الحديث هي نتيجة ليس لنمو المعرفة الإيجابي فحسب بل لليأس الروحي أيضا، وأن الانتصارات المادية العظمى التي يعلن الإنسان الغربي أنه بها يستحق السيادة على الطبيعة هي في صميمها ذات صفة دفاعية فخلف واجهتها البراقة يكمن الخوف من الغيب، إن الحضارة الغربية لم تستطيع حتى الآن أن تقسيم توازنا بين حاجات الإنسان الجسيمة والاجتماعية وبين أشواقه الروحية لقد تخلت عن آداب دياناتها

السابقة دون أن تتمكن أن تخرج من نفسها أي نظام أخلاقي آخر ــ مهما كان نضرا ــ يخضع نفسه للعقل، بالرغم من كل ما حققته من تقدم ثقافي فإنها لا تستطيع حتى الآن التغلب على استعداد الإنسان الأحمق للسقوط فريسة لأي هتاف عدائي أو نداء للحرب مهما كان سخيفا باطلا يخترعه الحاذقون من الزعماء ... الأمم الغربية وصلت إلى درجة أصبحت معها الإمكانات العلمية غير المحدودة تصاحب الفوضى العلمية، وإذا كان الغرب يفتقر إلى توجيه ديني حاذق فإنه لا يستطيع أن يفيد أخلاقيا من ضياء المعرفة الذي تسكبه علومهالمصانع والمعامل وعلى مكاتب المحللين الاقتصاديين والإحصائيين إنهم بحق يعبدون الدجال".[1]

1.1. الخصائص العرقية

لم يتطرق المؤلف إلى وصف الجانب العرقي و النفسي للغرب مثلما فعل ذلك مع العرب بإسهاب إلا ما جاء في سياق الكلام خلال الفصول فمثلا وصف والده قائلا : " إن كان عليا أن أصف أبي، فلا بد أن أذكر أن ذلك الذي كان عزيزا على قلبي، كان نحيلا، متوسط القامة ، أدكن البشرة و العينين " [2]

أما عن جد والده فقال " كان والد جده حبرا يهوديا ... مازلت أتذكره رجلا عجوزا حلو الشمائل و الخصال له كفان رقيقان ، ووجه رقيق الملامح تحيطه لحية بيضاء [3]

[1] ـ محمد أسد ، الطريق إلى مكة ، ترتيب صالح بن عبد الرحمن الحصين ، إصدار مؤسسة الوقف الرياض، ص 34
[2] - المصدر نفسه ،ص 102
[3] - المصدر نفسه ، ص 102

2.1. السمات النفسية عند الغرب :

أ- الإصرار و عدم الاستسلام

يمكن أن نذكر في هذا الصدد إصرار الجد على" أن يحافظ ابنه على التقاليد الروحية التي حرصت عليها العائلة على مدى أجيال، و رفض مجرد التفكير في أي مهنة أخرى لأبي عدا وراثة مهنته الحبرية وبما قوي من إصراره واقعة مؤسفة أساءت لسمعة العائلة و حرصت أسرة جدي على إخفاء أخبارها و تكتمها. فقد خان عم جدي تقاليد العائلة بطريقة شائنة و تحول عن الديانة اليهودية، دين أجداده".[1] فما حدث كان سببا في" إصرار جدي لأبي على إتحاد موقف صارم تجاه ميول أبي لدراسة العلوم الدنيوية، أصر على أن يصبح رجل دين و تحقق له ذلك ،ولكن أبي لم يكن من الذين يستسلمون بسهولة، فبينما كان يدرس التلمود بالنهار، كان يقضي أغلب الليل في الدراسات التي يحبها سرا "[2]

ب-العزيمة و الاعتماد على النفس

قرر محمد أسد أن يتجه إلى مجال الصحافة بعدما تأكد أنه من المستحيل أن يتابع دراسته الجامعية و هنا قرر أن يبدأ حياته معتمدا على نفسه حيث قال بخصوص هذا الموضوع " لم يعد هناك ما أفعله إلا أن أبدأ حياتي بنفسي دون أن أخبر أحدا بنياتي، ودعت مدينة فيينا، ذات يوم من أيام صيف 1920 ركبت القطار متجها إلى مدينة براغ. كان علي مند تلك اللحظة أن أدير أمور

[1] المصدر السابق،ص102

[2] المصدر نفسه، ص 103

حياتي دون أن أنتظر معونة أحد كما قررت ألا أقبل و ألا أتوقع أي معونة من أبي .[1]

ج-القلق الروحي و عدم الإحساس بالأمان :

كانت مشاعر الهشاشة وعدم الإحساس بالأمان متفشية بين الجميع، إحساس داخلي بالكارثة الاجتماعية والفكرية أصابت الجميع بالتشكك في استمرارية أفكار البشر، وفي كل مساعيهم و أهدافهم بدا كل شيء وكأنه طاف فوق فيضان لا شكل له .[2] وانتشر هذا القلق خاصة في فئة الشباب حيت قال : " والقلق الروحي لدى أجيال الشباب لا يجد مستقرا لأقدامه الوجلة،ومع غياب أي مقاييس يقينية أخلاقية، لا يستطيع أي فرد إعطاء إجابات مقنعة عن أسئلة كثيرة كانت تؤرق و تحير كل جيل الشباب، العلم يقول :« المعرفة أصل كل شيء » وينسى العلم أن المعرفة من دون هدف أخلاقي لا تؤدي إلا إلى فوضى عارمة".[3]

د- الانفعالات و السلوكيات عند الغرب:

يصف لنا المؤلف و هو في مدينة قطنا على مشارف سوريا الموقف الذي حدث معه مبينا من خلاله تعامل الرجل الغربي مع الأجانب، بعدما أخذه رجل الأمن السوري إلى قسم الشرطة لأنه لم يقتنع بما قاله له فوصف تصرف الضابط الفرنسي قائلا : " كان الضابط في قسم الشرطة رقيبا فرنسيا ضخم الجثة يرتدي سترة مفكوكة الأزرار، يجلس خلف مكتب عليه زجاجة خمر لم يبقى منها إلا قليل منه وإلى جوارها كوب متسخ .أخبرته أنني لست غريبا

[1] المصدر السابق ، ص111
[2] – المصدر نفسه، ص 107
[3] - المصدر نفسه، ص107

وأنني ملتزم بالقوانين . صاح الرقيب الفرنسي : ملتزم بالقوانين؟ لستم إلا أوغادا متشردين تمضون جيئة و ذهاب لمضايقتنا أين أوراقك ؟ " [1]

2. أوربا بعد الحرب العالمية الأولى :

يغطي محمد أسد في كتابه صورة أوربا بعد خروجها من مآسي الحرب العالمية الأولى و كوارثها، و ما ساد في عشرينيات من القرن الميلادي المنصرم من توجيهات مثل اعتبار المعرفة كل شيء من دون ربطها بالأخلاق، حيث اهتزت القيم و شجعت الثورة على التقاليد، وروج لحرية الجسد [2] فيقول :

وعلى الرغم من حداثة سني فإنه لم يخف عني أنه بعد كارثة الحرب العظمى لم تعد الأمور تحتوي على قدر من الصواب في عالم أوربي محطم، متذمر متوتر وعاطفيا. إلههم الحقيقي لم يعد إلها روحيا، بل أصبح إلههم البحث عن الرفاهية، ولا جدال أن الكثيرين أحسوا و فكروا بشكل روحي، و بذلوا جهودا يائسة ضد التيار ليصالحوا معتقداتهم الأخلاقية و الروحية مع روح الحضارة المادية السائدة، إلا أن من نجح منهم كان استثناء نادرا. أما الأوربي العادي الذي يمثل الغالبية سواء الديمقراطي أو الشيوعي، العامل اليدوي و المفكر. فقد بدو جميعا وكأنهم باتوا لا يؤمنون إلا بمعتقد إيجابي واحد: من تحويلها بصفة دائمة ومستمرة إلى حياة سهلة و مريحة، أو كما يذكر المصطلح الذي ساد : «الاستقلال عن الطبيعة » . كانت معابد تلك العقيدة و كنائسها هي المصانع العملاقة، و دور السينما، و المعامل الكيماوية، و المراقص و الكهرباء، كما كان قساوستهم و مبشروهم هم رجال البنوك، و المهندسين و الساسة و نجوم

[1] - المصدر السابق، ص 185

[2] - محمد شفيق ، محمد أسد من عالم الغرب إلى أخوة المسلمين ومن النظرة العلمانية إلى الإسلام، قراءة في كتاب الطريق إلى مكة ، ثقافتنا للدراسات و البحوث، المجلد 5، العدد 20 ،2010 ، ص 186

الأفلام، و الإحصائيين، و كبار رجال الصناعة، و رجال الطيران و مفوضي الأحزاب الشيوعية، كان الفزع الأخلاقي واضحا في افتقاد أي اتفاق حول معاني الخير والشر و خضوع كل القيم الاجتماعية و الاقتصادية لقانون النفعية حتى أنه صيغ بصيغة نساء الشوارع اللاتي رحن يهبن أنفسهن لأي عابر في أي وقت يطلب منهن ذلك. التوق الذي لا يشبع للقوة و المتعة عند الضرورة الذي يقود إلى انفصال المجتمع الغربي إلى مجموعات متناحرة متعادية مسلحة ومصرة على إفناء بعضها بعضا حينما و حيثما تتعارض اهتمامات تلك الجماعات أو تتنافر. وعلى الجانب الفكري، كان الناتج بشرا تنحصر أخلاقهم في إحراز المنفعة ومثلهم الأعلى للحق هو النجاح المادي. [1]

أما عن أفكار فرويد «Freud»فيقول : " لقد كانت للأفكار الفريدية تأثير يماثل تأثير النبيذ في أفكاري، و ما أكثر الليالي التي قضيتها في مقاهي فيينا أستمع إلى منافسات ساخنة و مثيرة بين رواد التحليل النفسي [2]، كما أن أوروبا " تعتبر نفسها البداية و النهاية . و كان قد انتقد في صفحات سابقة نظرة الغرب إلى العالم مند الرومان و اليونان هو «العالم و ما بعده فبرابرة » و ما التاريخ إلا تاريخ أوربا و ما عداه فمحاولات متعثرة و قدم فيما قدم في هذا المجال تحليلا هاما حول الحروب الصليبية و أثرها في العداء للإسلام و تشويه صورته [3] وعن الأذى الذي جلبته تلك الخروب يقول : " وهبت التجربة الجارحة والمريرة للحروب الصليبية أوربا وعيا بثقافاتها و وحدتها، إلا أنه قدر لتلك الحروب أن تبرز الإسلام بوجه مزيف في عيون الشعوب الأوروبية ... لم

[1] - محمد أسد ، الطريق إلى مكة ،ص 125
[2] - المصدر نفسه، ص 109
[3] - محمد شفيق، محمد أسد من عالم الغرب إلى أخوة المسلمين ، ص 187

تقتصر الخسائر التي نجمت عن الحروب الصليبية على الصدام المسلح : كانت الخسارة الكبرى الأولى و الأهم خسارة فكرية . نتجت من تسميم الفكر الأوروبي ضد العالم الإسلامي [1]

ذلك هو المناخ الذي عاش ليوبولدفايس فيه. و راح يستثير فيه سلسلة من الأسئلة الفلسفية و السياسية و الاجتماعية.ولم يكن ذلك بمختلف عن أقرانه الشباب الذين راحوا يستشعرون الأزمة. ويطرحون الأسئلة مثل كيف يمكن أن يغير المجتمع ليعيش الناس بصلاح وبحبوحة ؟ كيف يجب أن يسوي علاقاتهم ببعضهم لكي يتمكنوا من اختراق " العزلة التي كانت تحيط بكل إنسان، وأن يحيوا حياة مشتركة صحيحة؟ ما هو الخير ما هو الباطل؟ ما هو القضاء والقدر؟ "كانت هذه الأسئلة تعذب الشاب ليوبولدفايس ولخصها من خلال سؤاله: كيف يمكن أن أصبح " أنا ومصيري وحدة لا تتجزأ ؟ " فقد كانت الحيرة تأكل قلبه حول "معنى حياته"، "فأصبح أينما ذهب لا يستقر، ولهذا أراد أن يتحرك وراح بالفعل يتحرك. فإن محاولة اكتشاف الذات"، والتي لا تنفصل عن اكتشاف الحقيقة، هي التي قادته في الآتي من السنين إلى عالم مختلف وكان الجواب قد أعياه من داخل أوروبا مادامت تعتبر نفسها البداية و النهاية فقد كان مع التقدم ولكن مع شيء أخر إلى جانبه " فلم يكن "بمقدور أحد أن ينتقد التقدم ولهذا عندما وقع على كتاب «لاوتسي» الصيني أعجب بالحكمة الصينية فلاوتسي كان يعلم كيف يتوحد الإنسان مع مصيره و مع ذلك لم يكن قادرا على مناقشة أساس

[1] - المرجع السابق، ص 39

الحياة الأوروبية، فبقي ليوبولد على أرضها وبدأ لاوتسي يتراجع ليصبح شعرا جميلا ليس أكثر "[1]

ثمة تفسير لافت يقدمه محمد أسد حين يبحث أحد الغربيين في الهندوسية أو البوذية حيث يعرف دائما الفروق الأساسية بين هذين المعتقدين و بين معتقده الخاص إلا أنه قد يعجب ببعض أرائهما. ولكنه بطبيعة الحال لا يمكن أن ينظر في إمكان الاستعاضة بهما عن آرائه الخاصة ولهذا يمكن أن يتبصر بهذه الثقافات برصانة واتزان، وفي أحيان كثيرة بتقدير وإكبار وديين. بيد أنه عندما يصل الأمر إلى الإسلام، وهو ليس غريبا عن القيم الغربية بمقدار الفلسفتين الهندوسية أو البوذية، فإن المحاباة العاطفية تفعل فعلها في هذه الرصانة الغربية، بصورة تكاد تكون دائمة وثابة فتضطرب وتختل، وتساءل هل السبب في ذلك يعود إلى أن يقيم الإسلام قريبة فعلا من قيم الغرب إلى درجة تكفي لأن تشكل خطرا ممكنا على كثير من المفاهيم الغربية في الحياة الزوجية والاجتماعية؟ "[2]

ولكي تكتمل الصورة فإن هذا الشاب الذي راح يعاني من أسئلة هزت كيانه هزا كان بإمكانه أن يتعامل معها من خلال ترف فكري يتمتع به من ولد لجد صيرفي ثري ووالد كان محاميا شهيرا وجده الأخر حاخاما أي كانت أبواب التقدم في معارج العلم والحياة الغربية مفتوحة على مصاريعها ولكنه رفض أن يسير في الطريق المرسوم واثر أن يعاين البطالة والتسكع والبحث عن عمل صحفي بلا جدوى وقد جعل في عام 1920 الصعود إلى قمة الأدب مبتغاه أي هيأ نفسه لرحلة الاكتشاف والمخاطرة والبحث عن الحقيقة، وترك أسئلة

[1] المصدر السابق،ص 187
[2] المصدر نفسه، ص188

المصير. وتغيير العلاقات الإنسانية تحاصره من دون أن يحاول منها هروبا ومن هنا بدأت رحلته في الاتجاه الآخر لا يلوي على شيء وراءه غير نقد صارم لما آلت إليه الحياة في الغرب، ولما راح يسود من اتجاهات في الفكر والسلوك والممارسة. وقد حمل الأسئلة المعذبة معه بحثا عن الأجوبة.[1]

3. الحياة الاجتماعية عند الغرب

كانت الظروف المعيشية في تلك الحقبة صعبة بسبب الحرب فالمؤلف يصف لنا معاناته اليومية من أجل كسب قوت يومه و الأجواء التي سادت تلك الحقبة قائلا : "تعودت تحمل الجوع و أمضيت عدة أسابيع لا آكل فيها إلا وجبة واحدة يومية مكونة من كوب من الشاي و شطيرتين صغيرتين" [2] ورغم أنه كان محاط بأصدقائه إلا أنهم كانوا يعيشون نفس الظروف " لم يتمكن أصحابي المثقفون في مقهى فيستين من تقديم معونة إلى شاب غض بلا خبرة مثلي وعدا ذلك، كان أغلبهم يعيشون في ظروف لا تختلف كثيرا عن ظروفي، يحيون من يوم إلى يوم على العدم و الخواء، و يناضلون بكل ما أوتوا من قوة ليحافظوا على أنوفهم فوق سطح الماء.[3] ولكن مبدأ الصداقة كان موجود بينهم " حين كان الحظ يسعد واحدا منهم ينشر مقالة أو يبيع لوحة، يقيم احتفالا تراق فيه المشروبات و المأكولات، و يدعونني للمشاركة في تلك النفحة المفاجئة ، كما كان أدعياء الثقافة من الأغنياء يقومون أحيانا بدعوة الصعاليك من المثقفين إلى العشاء في منازلهم، تم يحملقون في فزع و نحن نحشو أمعاءنا الخاوية بشرائح الخبز المحمص المغطى بالكافيار، ونجرع معه ما تصل إليه أيدينا من

[1] المصدر السابق ،ص188
[2] المصدر نفسه، ص 112
[3] المصدر نفسه، ص 112

مشروبات و نرد له جميله بأحاديث منمقة ...إلا أن تلك الدعوات كانت، استثناء فالقاعدة في أغلب الأيام جوعا مطلقا " .[1]

كما نقل لنا الكاتب صورة روسيا السوفيتية التي كانت تعاني مجاعة شديدة وقاسية قائلا: "كان الملايين من أبناء الشعب يعانون الجوع، حتى إن مئات الآلاف لقوا حتفهم جوعا . [2]

ساهمت الصحافة الأوروبية في نقل الأخبار و الموقف العصيب الذي كانت تعاني منه روسيا السوفيتية، فسارعت العديد من الهيئات إلى تقديم المساعد من بين هؤلاء «Herbert Hoover» و الروسي الشهير مكسم جوركي « Maxcime Gorki»حيث قام هذا الأخير " بنشاط كبير . كانت نداءاته المؤثرة لدول العالم عبر وسائل الإعلام تهز المشاعر في أوروبا ". [3]

4. الجانب الفكري و الثقافي عند الغرب

1.4. أفكار لاوتسي في تحقيق الصفاء الروحي للأوروبيين

تحدث المؤلف عن قصة اكتشافه لفلسفة «لاوتسي» ذلك الكتاب الذي سحره لدرجة أنه أحس برجفة في أعماقه، و سعادة مفاجئة وهو يتصفحه قائلا : " بدا اكتشافي «لاوتسي»حقيقيا، و لم أكن قد سمعت عنه من قبل، حتى وقعت عيناي على ترجمة ألمانية ل « تاو تي كنج » موضوعة على مكتبة في فيينا فأثار الاسم الغريب بعض فضولي ففتحت الكتاب بطريقة عشوائية، و جرت عيناي على فصل قصير من الحكم، فشعرت برجفة في أعماقي، وخزة من

[1] المصدر السابق، ص112
[2] المصدر نفسه،ص115
[3] ينظر محمد أسد، الطريق إلى مكة، ص115

السعادة المفاجئة جعلتني أنسى ما حولي، و لا أشعر بوجوده، وأتجمد في مكاني مسحورا و مأخوذا بما قرأت: ما أقرأه يظهر لي جوهر حياة البشر في صفائها، خالية من النزاعات و الصراعات تسمو إلى سعادة خالصة مفتوحة لا تنضب أمام القلب البشري إذا هفا إلى رفع ذاته إلى حريته و خلاصه .. وجدت فيما قرأته صدقا خالصا ، تعرفت إليه و نفذ إلى عقلي و مشاعري بفرح يماثل فرح العائد إلى وطنه بعد غياب طويل ...على مدى أعوام ، كان لاوتسي بمنزلة نافذة أتطلع من زجاجها النقي إلى حياة بعيدة عن ضيق الرؤى و مخاوف الذات و الهواجس الطفولية التي ترغم البشر على محاولة تأمين وجودهم في كل لحظة عن طريق تحسين الوسائل المادية بأي ثمن . كما أنه لم يكن ضد هذه الفكرة " و كان يرى أن تحسين الوسائل المادية أمر ضروري إلا أنها لا يمكن أن تحقق سعادة البشر إلا إذا تصالح صاحبها و توافق مع المكونات الروحية وآمن بالقيم المطلقة "[1]." لم يتبادر إلى ذهني في ذلك الوقت أن أفكار لاوتسي لا تهدف فقط إلى اختراق الذهن لتحقيق تغيير في المواقف الفكرية ، بل كان يسعى أيضا إلى تغيير المواقف الجوهرية التي تنبع منها المواقف الفكرية ، لو أنني أدركت ذلك لعلمت أنه لا يمكن لأوربا أن تحقق ذلك الصفاء الروحي الذي يتحدث عن لاوتسي إلا إذا امتلكت شجاعة التساؤل عن أصل جذورها الروحية والأخلاقية وحقيقتها، إلا أنه بدأ تدريجيا يتشكك في إمكانية تضيقها و تراجع صوت لاوتسي بداخله إلى أن احتل مكانة من التأملات الفكرية الذهنية المجردة [2]

[1] ـ المصدر السابق، ص 126
[2] المصدر نفسه، ص 127

2.4. الصحف ودورها في توثيق الأحداث:

لعبت الصحف دورا هاما في ربط الشرق بالغرب وكان للمقالات التي أصدرها لمؤلف صدى في تنوير الرأي العام الغربي عما كان يحدث في الجزيرة العربية فيقول عن ولوجه لعالم الصحافة وافتخاره بذلك : " أن أكون عضوا عاملا في مثل تلك الصحيفة كان مصدر فخر و اعتزاز لشاب في مثل سني وعلى الرغم من أن مقالاتي عن الشرق الأوسط قوبلت باهتمام شديد من قبل جميع المحررين إلا أن نصري الكامل تحقق في اليوم الذي كلفت فيه أن أكتب مقالا افتتاحيا بالصحيفة عن مشكلة الشرق الأوسط [1]

كان من نتائج عملي في جريدة فرانكفورت ذيتونج النضج المبكر لتفكيري الواعي كما نتجت عنه رؤية ذهنية أكثر وضوحا من أي وقت مضى، فبدأت في مزج خبرتي بالشرق بعالم الغرب الذي أصبحت جزءا منه من جديد . [2]

3.4. الموسيقى عند الغرب :

يلاحظ المؤلف الفرق الشاسع بين الموسيقى العربية و الموسيقى الغربية فيقول " صعب أن تجد مثل تلك الأغاني في الغرب بسبب التعددية لا في الأصوات و لا في الموسيقى فحسب، بل في مشاعر البشر و رغباتهم ، برودة الطقس، و غزارة المياه، و تتابع الفصول تعطي هذه العناصر تعددية شكلية لمظاهر الحياة تتباين في دلالاتها و معانيها، و لذلك يشعر الرجل الغربي برغبات كثيرة و دافع قوي في القيام بأعمال دون الاكتراث لنتائجها، يجد أن عليه أن يبتدع و يبني و يتغلب حتى يرى ذاته تتحقق مرة بعد أخرى في تعقيدات الحياة المتغيرة. و ينعكس ذلك على موسيقاه أيضا و غناءه الغربي

[1] المصدر السابق، ص 207 - 208
[2] المصدر نفسه، ص 208

الصاخب [1]. فهو أيضا اعتاد الموسيقى الغربية فيقول " لقد اعتدت بالطبع الموسيقى الغربية التي تتدفق فيها كل انفعالات المؤدي في أداء فردي يعكس على المستمع ما في اللاوعي، من توثر واحد إلا أنه ليس إلا توثر يمثل مشاعر شخصية لدى كل مستمع على حدة [2] فهو يرى أن الموسيقى الغربية ينقصها ذلك الانسجام الموجود في الموسيقى العربية .

5. نظرة الغرب للمجتمع العربي :

تطرق محمد أسد للعديد من القضايا أظهر من خلالها الحقد الغربي اتجاه العرب نذكر منها:

1.5. اليهودي المتعصب للقضية الفلسطينية:

حينما هاجر اليهودي جاء مصحوبا بمفاهيم مغلوطة . فهو لم يكن لديه فكرة من الوجود العربي بها .وهذا ما أكده المؤلف أيضا عندما قال : " لم اعرف أبدا أنها أرض عربية تخص العرب .كنت أعرف بشكل مبهم أن بعض العرب يعيشون فيها ، إلا أنني تخليت أنهم بعض القبائل مرتحلة تعيش في خيام وأنهم رعاة يسكنون واحات صحراوية وأغلب ما قرأته عن فلسطين في أعوامي السابقة كتبه صهاينة "[3]. فالمؤلف كان يجهل أن مدن فلسطين مدن عربية وأن نسبة العرب في فلسطين كانت تفوق نسبة اليهود و هدا ما يوضح يعرض لنا المؤلف موقف السيد «أوسشكين» رئيس جمعية رواد المجتمع الصهيوني الذي أظهر ازدرائه للعرب ووصف مقاومتهم على أنها تمرد من طرف مجموعة من المشاغبين فقال " لا توجد حركة مقاومة عربية حقيقية في فلسطين ضدنا لا

[1] المصدر السابق، ص 163
[2] المصدر نفسه، ص 197
[3] المصدر نفسه،ص 149

توجد حركة مقاومة ذات جذور بين الناس كل ما تراه و تظنه مقاومة ليس إلا صراخا وصياحا من بعض الساخطين المشاغبين ، و سينهارون خلال بضعة أشهر أو بضعة أعوام على الأكثر. " [1]

إن ما جاء به وعد بالفور وهو إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ما هو إلا مناورة سياسية قاسية ضد الشعب الفلسطيني، و تم إصداره لترسيخ سياسة فرق تسد ،ومع أن الكاتب كان يهوديا إلا أن موقفه كان معاديا للصهاينة وعارض الموقف الغير أخلاقي للقوة العظمى التي تدفع بالمهاجرين اليهود من جميع أنحاء العالم إلى فلسطين حتى يزيد عددهم و تقوى شوكتهم و ينتزعون الأرض من أصحابها فقال " لذلك كنت أميل إلى الوقوف في صف العرب في كل مناسبة تتار فيها المسألة اليهودية العربية ." [2]

أظهر لنا أيضا موقف السيد حاييم وايزمان «Chaimweizman»قائد الحركة الصهيونية بلا منازع الذي أكد لمحمد أسد خلال الحوار الذي دار بينهما وفي غضب أن فلسطين أرضهم، وهم يحاولون استرجاع حقهم لا غير " فنحن لا نفعل أكثر من استرداد ما سلب منا بطريق الخطأ.[3]

استغل الكاتب عمله كصحفي في الدفاع عن الشعب الفلسطيني و كان ذلك واضحا في مراسلاته الصحفية، وهذا ما أدهش اليهود حيث نظرا إليه الصهاينة نظرات دهشة بسبب تعاطفه مع العربي فقال " في الحقيقة نظر إليا الصهاينة نظرات دهشة بسبب تعاطفي مع العرب كان واضحا في مراسلاتي التي العتب

[1] المصدر السابق،ص150
[2] المصدر نفسه، ص 151
[3] المصدر نفسه، ص152

ها إلى صحيفة «فرانكفورت ذيتونج» كانوا في حيرة من أمري هل اشتراني العرب ؟ كان الصهاينة يؤمنون بان شعب فلسطين اعتاد شرح مواقفه بالمال.[1]

هناك من أيد محمد أسد في أحقية الشعب الفلسطيني لاسترجاع أرضه وهو الهولندي "جاكوب دي هان «Jacob di han»" كان ذا إيمان قوي مثله مثل يهود شرق أوربا المتعصبين لكنه لم يقبل المخطط الصهيوني لأنه كان يؤمن بان عودة شعبه إلى ارض الميعاد لابد أن تنتظر حتى تتحقق عودة المسيح كما ورد في الكتاب المقدس. "[2]. حيث أكد أن الصهاينة يرتكبون جريمة بحرمان شعب آخر من وطنه بهده الأفكار أصبح جاكون دي هان مكروها بشدة من قبل الصهاينة و اغتيل بإطلاق الرصاص عليه من قبل إرهابيين صهاينة أما العرب فكانوا يقدرونه و يحبونه.

2.5. التعصب الغربي ضد الإسلام :

نشأ محمد أسد على الاعتقاد بأن الإسلام و كل رموزه ليس إلا محاولة التفافية رومانطيقية حول تاريخ الإنسان، محاولة لا تحظى حتى بالاحترام من الناحية الروحية و الأخلاقية، و من ثم لا يستحق الذكر ، فضلا عن أقل من أن يوازن بين العقيدتين الوحيدتين اللتين يرى الغرب أنهما تستحقان الاهتمام والبحث و هما المسيحية و اليهودية .[3] و قال أيضا " لو تعاملت بعد مع ذاتي، لابد أن أقرر أنني أيضا كنت غارقا حتى أذني في تلك الرؤية الأوروبيةوالعقلية الذاتية الثقافية التي اتسم بها الغرب على مدى تاريخه و يمكن حصر الآراء الشائعة في الغرب عن الإسلام فيما يلي " انحطاط حال المسلمين ناتج عن الدين

[1] المصدر السابق، ص 156
[2] المصدر نفسه ، ص 156
[3] المصدر نفسه، ص 130

الإسلامي ذاته، ولا يمكن أن نعده عقيدة دينية مثل المسيحية واليهودية، وأنه أقرب إلى خليط غير مقدس من خيالات الصحراء، والحسية الشهوانية، والخرافات، و الإتكالية و الإيمان بالقدر، و هي قيم تحول البشر من عراقيل الغموض و الظلام، كبلهم الإسلام أكثر، و بمجرد تحررهم من العقيدة الإسلامية، و تبني مفاهيم الغرب في أسلوب حياتهم و فكرهم، فإن ذلك سيكون أفضل لهم و للعالم كله[1]، كما قال أيضا : " إن ما وجدته من مفاهيم وما توصلت إلى فهمه من مبادئ الإسلام و قيمه، أقنعني أن ما يردده الغرب ليس إلا مفهوما مشوها للإسلام فما وجدته في القرآن الكريم لم يكن « نظرة مادية »فقط للحياة ، بل على العكس ، وجدته يظهر وعيا شديدا بالخالق ، عبر عن نفسه بقبول كل ما خلقه . [2]

3.5. نظرة الرأي العام الغربي لقضايا الشرق الأوسط :

اعتاده أوريا أزمانا طويلة التعامل مع كل ما يحدث في الشرق الأوسط بفجاجة دون اكتراث مع مراعاة لمصالحها فقط بينما ابدي الرأي العام الغربي خارج بريطانيا تعاطفا تجاه الكفاح الايرلندي في الاستقلال إلا أن ذلك التعاطف الغربي لم يمتد ليشمل تطلعات المجتمعات الإسلامية، و حجة الغرب دائما تنحصر في التمزق السياسي العربي، و التخلف الاقتصادي للشرق الأوسط وكل تدخل غربي في شؤون الدولة الإسلامية يوصف بأنه دفاع عن المصالح المشروعة للغرب، بل الأغرب انه يتم تعليله بأنه لتامين تقدم شعوب تلك البلاد ورقيها [3]

[1] المصدر السابق،ص269
[2] المصدر نفسه،ص269
[3] المصدر نفسه،ص 165

هذه الشعوب الغربية التي تسعى إلى تدمير الروح القومية للعرب ، لم تقبل أبدا دخول بعثة للإمبراطورية النمساوية ولكنها سمحت بدخول بريطانيا إلى مصر و روسيا إلى أسيا و هذا ما يوضحه المؤلف في قوله " قبلوا بتسامح شديد دخول بريطانيا إلى ما يوضحه المؤلف في قوله : "قبلوا بتسامح شديد دخول، ودخول روسيا إلى وسط آسيا، و دخول فرنسا إلى دول العرب، ودخول ايطاليا إلى ليبيا، لم قط في أذهانهم أن أكثر العلل و الآفات الاجتماعية والاقتصادية التي يعاينها الشرق الأوسط ليس إلا نتيجة مباشرة للمصالح الغربية وعدا ذلك، يهدف التدخل الغربي بشكل أو بـــأخر إلى توسيع نطاق بؤر الاضطرابات الداخلية وزيادتها لتصعيب سيطرة الشعوب المعنية على معتقداتها [1] ، كما أنه تحقق من ذلك وهو في فلسطين فقال" تأكدت من السياسة المراوغة ذات الوجهين التي تتبعها الإدارة البريطانية فيما يخص الصراع العربي الصهيوني واتضح لي بكامل أبعاده في بدايات سنة 1341، بعد أن قضيت عدة أشهر متجولا في أنحاء فلسطين " [2]

6. تأثير الغرب في المجتمع العربي:

كان التأثير متبادل بين العالم الغربي و العالم الإسلامي ، و إذا قمنا برصد جوانب هذا التأثير فنقول شمل عدة مجالات، ثقافية و فكرية و علمية . و خير مثال على ذلك مدينة جدة التي رأى المؤلف لافتات مكتوبة باللغة الفرنسية على محلاتها. بالإضافة إلى دخول السلع إلى المدن العربية من مختلف أرجاء القارات الثلاث فيقول :" كانت المتاجر تعرض بنادق قديمة ذات مواسير طويلة ومقابض مزينة بالفضة ذات طراز قديم لم يعد أحد يشتريها الآن، لأن البنادق

[1] المصدر السابق، ص 165
[2] المصدر نفسه، ص 283

الحديثة الآلية أصبحت أكثر فعالية. و محلات أخرى تعرض أزياء رسمية مستعملة من أرجاء القارات الثلاث، و رحال جمال من نجد...لم تعد البضاعة الغربية دخيلة بين الأنواع و الأصناف الأخرى، كانت فوائدها العلمية تعطيها شرعية وجودها. كان البدو بوعيهم العملي يعتادون بسرعة تلك السلع الجديدة وكأنها من إبداعهم، لم أكن أدرك تماما حتى ذلك الوقت ما يمكن أن تسببه الحداثة الغربية لأولئك الناس البسطاء الأميين "[1]وعليه فإن التأثير متبادل بين الطرفين.

[1]المصدر السابق، ص 283

خاتمة

خاتمة

في ختام هذا البحث نقدم مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها، وهي كالتالي:

ـ إن القارئ لكتاب الطريق إلى مكة يشعر بشغف ولهفة محمد أسد و هو ينقل لنا تفاصيل رحلته، رغم المخاطر والصعوبات التي اعترضت طريقه والدوافع الحقيقية لتلك الرحلة.

ـ استطاع أن يتخلص من انخداع الرجل الغربي و إساءته لفهم الإسلام بسبب ما يراه من تخلف وانحطاط في العالم الإسلامي.

ـ وفر الإسلام باختصار حافزا قويا إلى التقدم المعرفي و الثقافي و الحضاري الذي أبدع واحدة من أروع صفحات التاريخ الإنساني،وقد وفر ذلك الحافز مواقف إيجابية عندما حدد في وضوح نعم للعقل و لا للجهل

ـ يصف الرأي العام الأوروبي تلك المقاومة العربية ـ ببراءة شديدة ـ بأنها إرهاب ضد الأجانب و كل تدخل غربي في شؤون الشرق يوصف بأنه دفاع عن المصالح المشروعة للغرب. و في الواقع هي نتيجة مباشرة للحفاظ على المصالح الغربية.

ـ نقل الكاتب صورة المرأة العربية حيت بدت أوضح وأكثر إنصافا، مما روج لها في الغرب، بأنها مظلومة و مسلوبة الإرادة و الحقوق من قبل الرجل، إلا أن الدين الإسلامي أبرز مكانتها.

ـ رغم حب المؤلف للعرب إلا أنه لم يتغاضى على بعض الصور السلبية التي نقلها و هو يجوب الأقطار العربية، ويخالط العرب مثل : الجهل و التكاسل، الاتكال، تعاطي المخدرات، الصراع القبلي و مسألة الثأر.

ـ استطاع المؤلف أن يتعمق في الحياة العربية والإسلامية و أن يغوص في أغوار شخصية الإنسان العربي والإسلامي فجاءت نظرته عميقة في كشف هذه الشخصية.

ـ حاول المؤلف من خلال رحلته أن يبدد الغيوم و الأوهام التي غشت أبصار الغربيين و حجبت عنهم الرؤية الصحيحة تجاه الأخر و الدين الإسلامي.

ـ لقد ارتبطت صورة العرب و المسلمين في المخيال الغربي بالوحشية و الجهل وهي صور لا أساس لها،و بجهود الرحالة الغربيين اتضحت الصورة منهم المفكر والفيلسوف الكبير محمد أسد الذي زار الشرق و توغل في الحياة العربية والإسلامية.

فهرس المصادر و المراجع

القرآن الكريم .

1. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط1 ، المجلد السادس، باب الراء مادة رحل.
2. ابن منظور، لسان العرب، المكتبة الشاملة، فصل الصاد، ج4.
3. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العام للملايين،بيروت،ط1، 1978 م.
4. حسين محمد فهيمي، أدب الرحلة، عالم المعرفة،1978 م.
5. خرخاش صالح، جعفر سناء أدب الرحلة في مذكرات شاهد للقرن لمالك بن نبي، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي، جامعة العربي تبسي، 2021 2022 م
6. سديرة سهام، أدب الرحلة الماهية ـ البنية ـ الشكل، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، كلية العلة م الإنسانية
7. عامر جورج إلياس أبو سعيد، دور العقلية القبلية في تعطيل الوحدة العربية، رسالة ماجستير، جامعة القدس، 2010 م
8. علي خليل شفرة، الإعلام و الصورة النمطية، دار أسامة للنشر و التوزيع، الأردن، عمان، 2015 م
9. العيفة خطوي، أدب الرحلة في التراث الجزائري،مجلة بدايات العدد الأول، جامعة عمار ثليجي، الجزائر.
10. فؤاد قنديل، أدب الرحلات في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب،ط1 2002 م.
11. ماجدة حمود، صورة الآخرفي التراث العربي
12. مجدي وهبة و كامل المهندس،معجم المصطلحات العربية، كلية لبنان، بيروت، المجلد الأول.

    المجلة العربية للعلوم و نشر الأبحاث، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، المجلد السادس، العدد 11، سبتمبر2022 م
13. محمد أسد، الطريق إلى مكة، تر. د رفعت السيد علي، مكتبة الملك عبد العزيزالعامة،1904 م.

14. محمد حسين علي الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، دار الرشيد للنشر، العراق، 1981 م
15. محمد خير رمضان يوسف، أعلام و أجانب، مستشرقون ـ مؤلفون ـ مشاهير، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع، ط1 ، 1996 م
16. محمد شفيق، من عالم الغرب إلى أخوة المسلمين ومن النظرة العلمانية إلى الإسلام، قراءة في كتاب الطريق إلى مكة
17. معجم الوسيط،مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، باب الراء،2005 م.
18. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي، كلية الأدب،جامعة القاهرة، 1955 م
19. نوال عبد الرحمان شوابكة، أدب الرحلات الأندلسية و المغربية، دار المأمون للنشر و التوزيع،ط1 ، 2008 م.

ملاحق

ملاحق

1. التعريف بالمؤلف :

ولد في إقليم غاليسيا في بولندا في شهر يوليو، و كان الإقليم يومها تابعا للإمبراطورية النمساوية. كان أبواه يهوديين، وكان اسمه ليوبولدفايس (liubuldfayis) بدأ يتدرب ليصبح كاهنا مثل جده، إلا أن روحه القلقة جعلته يهرب ليلتحق بالجيش...اشتغل بعد تخرجه من الجامعة في فينا بالصحافة. سافر إلى القدس بدعوة من خاله، حيث تعرف على الحركة الصهيونية ورفضها .[1]بدأ من هناك رحلة عشقه الإسلام و عالمه، بدءا باستكشافه كزائر تم كصحافي، وانتهت باعتناقه الإسلام في الجزيرة العربية عام 1926 ، ومن ثم انطلقت ملحمة تفاعل عقل من أبرز عقول القرن العشرين، مع الإسلام، تاريخه، عقائده ،حاضره و مستقبله و مشكلات أهله، و قد سجل محمد أسد وقائع هذه الملحمة في كتابه الطريق إلى مكة (صدر عام 1953) الذي يعتبر من أروع الأعمال الأدبية و الفكرية التي جاد بها هذا القرن كتاب الطريق إلى مكة يتحدث عن رحلة عقل تواق إلى المعرفة الحقيقية، بحث عنها في ثنايا التوراة و أسفار اليهودية، ثم صار يبتغيها في مقاهي فينا و صالوناتها في العشرينيات، و غازل في سبيلها أعمال فوريد حينا وكتاباته في التحليل النفسي، ثم وجدها أخيرا في صحراء الجزيرة العربية و رمالها .أحب أسد الجزيرة العربية و أهلها واعتبرها موطنه ، صاحب الملك عبد العزيز و بادله الود، و ظل من أخلص خلصائه زمنا، تفاعل أسد مع كل قضايا الأمة، حيث غامر في مطلع الثلاثينيات بالتسلل إلى ليبيا، و رافق الشهيد عمر المختار و صحبه في جهاده ضد الإيطاليين، ثم

[1] - محمد خير رمضان يوسف، أعلام و أجانب ، مستشرقون- مؤلفون- مشاهير، دار ابن حزم للطباعة و النشر والتوزيع ،ط1 ، 1996، ص 104

انتقل بعد ذلك إلى الهند، حيث لقي العلامة محمد إقبال، بالتخلي عن الترحال، حيث كان ينشد الذهاب إلى تركستان و آسيا الوسطى، ولكن إقبال أصر عليه ليبقى حتى يساعد في إذكاء نهضة الإسلام في الهند، حتى قيام الحرب العالمية الثانية، فكاد له الإنجليز كانوا يتخوفون من أثره على المسلمين، وقد وقعت له بسبب الحبس كارثة، إذ ضاعت منه أكثر أجزاء صحيح البخاري الذي أفنى شطرا من عمره و هو عاكف عليها.[1]

بعد الحرب و قيام دولة باكستان انتقل إلى هناك، و اكتسب جنسية الدولة الجديدة، ثم أصبح مدير قسم الشرق الأوسط في وزارة الخارجية بها، فمندوبها الدائم في الأمم المتحدة في نيويورك، و في عام 1953 استقال من منصبه بعدما أعلن أنه اطمأن إلى أن الدولة الجديدة قامت على قدميها .

في نيويورك التقى أسد زوجته الثالثة بولا حميدة، و عاود معها ترحاله، وكان أسد اعتنق الإسلام بصبة زوجته لزا، لكنها ما لبثت أن توفيت، فتزوج بامرأة عربية رزق منها بابنه الوحيد هو الدكتور طلال أسد الذي يدرس في إحدى الجامعات الأمريكية . انفصل أسد عن زوجته العربية بعد ذلك وفي عام 1964 شرع في أضخم مشروع حياته، وهو مشروع ترجمة معاني القرآن الكريم، و أمضي سبعة عشر عاما وهو يعد الترجمة، فكانت النتيجة في عام 1980 صدور واحدة من أهم ترجمات معاني القرآن الكريم بالإنجليزية.

كان الرجل يحمل على كاهله ثقل القرن بأكمله، نشأ و هو يشهد انهيار أوربا القديمة و أحلامها و آمالها في حطام الحرب العالمية الأولى، ثم انصرف يحمل هموم العالم الإسلامي و إحباطا ته، مات أبوه في معسكرات الاعتقال

[1] - المرجع السابق ، صفحة 105

النازية، في الوقت نفسه الذي كان هو يكابد الاعتقال في سجون الحلفاء، و ظل مدافعا عن الإسلام، ثم اضطر إلى الهجرة من ديار الإسلام ليحافظ على استقلال رأيه، فأقام مند أوائل الثمانينات في طنجة ، فالبرتغال، ثم إسبانيا. كان أول من بشر بالدولة الإسلامية و جاهد في سبيلها، و ظل يسدي النصح الصبور إلى الإسلاميين ليقنعهم بأن الموعظة الحسنة و البناء المتأني لا الصراع الأهوج المتعجل، هو سبيل البناء الإسلامي الصحيح .[1]

رفض إسرائيل و حاربها، وظل حتى آخر أيامه يكتب ليثبت بمنطق العقل أن المسلمين هم أولى الناس بالقدس و رعايتها و عمارة مساجدها و مقدساتها. لم يكن يري في الإسلام الحل فقط لمعضلات المسلمين، بل كان يري فيه مستقبل البشرية كلها .

مؤلفاته:

كان أول كتبه عن الإسلام بعنوان (الإسلام على مفترق الطريق) الذي نشر سنة 1934 و نال شعبية واسعة . كانت فكرة مفترق الطرق دعوة إلى المسلمين ليتخذوا الطريق الصحيح و يتجنبوا الانقياد الأعمى للأنماط و القيم الاجتماعية الغربية، ولا ريب أن أعظم ما ترك أسد من أثره هو تفسيره للقرآن الكريم لكن الأوسع أثرا ظل (الطريق إلى مكة)، ألف أيضا مبادئ الدولة في الإسلام 1947 و (شريعتنا هذه) 1987 و هما يتناولان نظرية الحكم في الإسلام، و لكن أيا من كتبه لم يفق انتشار الطريق إلى مكة الذي ترجم إلى أكثر

[1] المرجع السابق، ص 106

لغات العالم، و قال كاتب أوربي مسلم عن تأثير هذا الكتاب " إن أحد لا يعرف عدد من وجدوا الطريق إلى الإسلام عبر هذا الكتاب الصغير " [1]

عند وفاته كان محمد أسد يعد الجزء الثاني من مذكراته ليحكي فيها ظرفا آخر من حياته العامرة ، و كان العنوان الذي اختاره للكتاب هو " عودة القلب إلى موطنه".

ولد في 2 تموز 1900 و توفي في 20 شباط 1992 و دفن في مقابر المسلمين في غرناطة بالأندلس.[2]

2. ملخص رحلة الطريق إلى مكة:

في عام 1920 سافر فايس إلى برلين من دون توديع والده بعد معاناة وإفلاس عثر على عمل كصحفي، لكن العمل لم يكن ممتعا بدرجة كافية، وعندما تلقى دعوة من عمه الذي يعيش في القدس للانضمام إليه، انتهز تلك الفرصة .في ذلك الوقت اعترف الكاتب بأنه كان يمتلك النظرة النمطية الاستشراقية المعتادة عن الدول العربية و الإسلامية، وهي أفكار غامضة عن رومانسية ألف ليلة و ليلة و غرابة الثقافة الإسلامية، والنظرة الأوروبية النموذجية للإسلام باعتباره ذا أهمية هامشية مقارنة بالمسيحية و اليهودية ، وعلى الرغم من كونه يهوديا لم يهتم الكاتب و هو في فلسطين بالقضية الصهيونية،معتقدا أن تدفق الأوربيين إلى أرض لم تكن لهم منذ ألفي عام .كان حلا مصطنعا و مقدرا له أن يسبب مشاكل لقد لاحظ أن رأيه اليهود الأوروبيين للعرب المحليين تشبه راية القوى الاستعمارية للأفارقة كشعب متخلف ليس له

[1] المرجع السابق، ص 106
[2] المرجع نفسه، ص107

تأثير يذكر، و أبدى معارضة لأفكار الأب المؤسس لإسرائيل « حاييم وايزمان » و لم يستطع الصهاينة فهم تعاطف هذا الرجل اليهودي مع العرب، و اهتمامه بهم مع مرور الأسابيع و الشهور. بدأ الكاتب يرى الثقافة الأوروبية من منظور مختلف لاسيما انعدام الأمن العاطفي و الغموض الأخلاقي فيها، في المقابل لاحظ الإحساس بالأخوة ووحدة الفكر و العمل الذي بدا أن المسلمين يتمتعون به، لقد أدرك أن أوربا أيضا قد استمتعت ذات مرة بهذا الكمال الروحي الذي تم التعبير عنه على سبيل المثال في موسيقى « باخ وفن راميرونت »، لكن أوربا فتحت المجال أمام المادية التي دمرت المجتمعات مقتنعا بهذه الفكرة . صمم الكاتب على البقاء في العالم الإسلامي و لحسن الحظ سمح له تعيينه كمراسل بالسفر في جميع أنحاء الشرق الأوسط في السنوات التالية قدم مئات التحليلات الثاقبة لشعوب، وقضايا المنطقة. أسلم المؤلف رسميا في عام 1920 و سمى نفسه محمد أسد واستقر لمدة ست سنوات في بلاط عبد العزيز ابن سعود مؤسس المملكة العربية السعودية الحديثة .

في العادة كان ينظر إلى الغربي بعين الريبة لكن التزام أسد بالإسلام كان كاملا واتصاله بابن سعود مكنه من زيارة الأماكن التي عادة ما تكون محظورة على الأوروبيين اكتملت حياته المسلمة عندما تزوج امرأة عربية في المدينة المنورة، وأنجب منها ولدا.لم يكن أسد ينوي في كتابة سيرته الذاتية تاريخ مغامراته في الشرق الغربي للغربيين، و لكن لتبديد بعض هذه الآراء الخاطئة ،لقد أدرك أنه كان في وضع فريد من نوعه لكونه مسلما من أصل غربي، كما كان حريصا على قول إن الشعوب الإسلامية لم تجعله يعتنق الإسلام، بل حبه للإسلام هو الذي جعله يعيش في بلاد المسلمين . و رغم عشق أسد الشديد للإسلام و القرآن الكريم فإنه لاحظ الانحطاط الفكري و المادي في العديد من المجتمعات

الإسلامية « عندما تضاءل الإيمان الإسلامي العميق و التوافق يوم بعد يوم مع تعاليم رسول الله عليه الصلاة و السلام تضاءل أيضا الدافع الإبداعي والبراعة التي جعلت الحضارة الإسلامية عظيمة و في تناقض تام مع وجهة النظر الغربية القائلة بأن التمسك بالإسلام كان مسؤولا عن تراجع حال المسلمين قال أسد لم يكن المسلمون هم الذين جعلوا الإسلام عظيما ،إن الإسلام هو الذي جعل المسلمين عظماء، لم يكن في الإسلام ما يشكل عقبة أمام التقدم العلمي والازدهار ،بل إن الفشل في الإيمان هو الذي أدى إلى تراجع المسلمين . [1]

[1] ملخص كتاب الطريق إلى مكة، للكاتب النمساوي المجري ، محمد أسد، مكتبة العم عارف اليوتوبhttp://youtu.be/2cR8T584YbM§حلقة

ملخص الدراسة:

الرواية تدخل في أدب الرحلات وكتب السيرة الذاتية، فهي مذكرات حية بكل ما تحمله الكلمة من معنى فالرجل يروي ما مر به من أحداث ترحاله المتواصل، حيث انتقل من عالم إلى عالم آخر ليس من خلال تغيير القناعات والانتماء فحسب، وإنما أيضا الانتقال الجسدي والبيئي والاجتماعي ليعيش بعقله وروحه وسلوكه وعواطفه وحياته اليومية في عالمه الجديد ، عالم الإسلام والعرب والجزيرة العربية، فقد جاء كتابا إسلاميا يساعد الغربي الذي يبحث عن الحقيقة ويريد أن يعرف الإسلام والمسلمين على حقيقته .

تناولت هذه الدراسة "صورة الأجنبي في رحلة محمد أسد الطريق الى مكة" التي جزأناها إلى مدخل وفصليين تطبيقيين حيث تطرقنا في المدخل إلى مفهوم أدب الرحلة والصورة وارتأينا في الفصل الأول إلى إظهار صورة العرب والمسلمين أما الفصل الثاني فتناولنا فيه صورة الغرب ونظرته العدائية إلى الإسلام والمسلمين، وقد ثم تتويج البحث في الأخير بخاتمة احتوت أهم النتائج المتوصل إليها.

الكلمات المفتاحية

أدب الرحلة ـ الصورائية ـ محمد أسد ـ الإسلام-الغرب.

Summary

The novel falls into the genre of travel literature and autobiographies, it is a living memoir in every sense of the word, the man recounts the events of his continuous displacement, as he moved from one world to another, not only through changes in beliefs and affiliations but also through physical, environmental, and social transitions, living with his mind, spirit, behavior, emotions, and daily life in his new world - the world of islam, Arabs, and the Arabian peninsula.

This book serves as an Islamic guide for westerners seeking the truth and wanting to understand islam as it is. This study addresses "The image of the Foreigner in Muhammad Asad's journey to Mecca, which we divided into an introduction and two applications, in the introduction, we discussed the concept of travel literature and imagery, while in the first chapter, we aimed to portray of Arabs and Muslims.

The second chapter dealt with the image of the west and its propagandistic view of islam and Muslims.

Finally, the research culminated in a conclusion that highlighted the most significant findings.

Key words : travel literature – imagery – Mohammad Asad Islam – fanaticism.